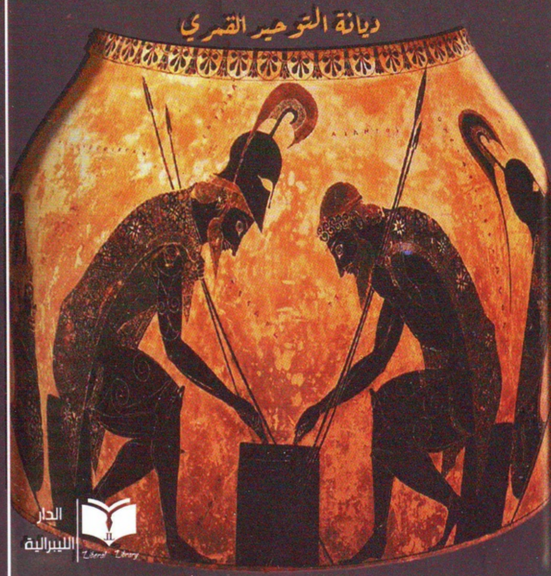
How the Gods Were Made

جون كيراتشر

ترجمة وإعداد:
ابراهيم قيس جركس

كيف وُجِدَت الآلهة

ديانة التوحيد القمري



الدار الليبرالية
Liberal Library

كيف وُجِدَت الآلهة

الدار الليبرالية

جميع الحقوق التجارية محفوظة للناشر
الحقوق الثقافية والفكرية ملك التراث الإنساني

إن الدار الليبرالية غير مسؤولة بشكل مباشر عن آراء الكتاب إنها تنشر ثقافة مفتوحة بحيادية، وكُل كتاب يعبر عن آراء مؤلفه وإن كنا لا ننشر إلا ما نحن مقتنعون بأهميته ثقافياً سواء وافقنا الكاتب أم لا.

نحن ملتزمون بقيم الحرية الفكرية بأعلى مستوياتها والاختلاف حالة طبيعية فلا نلزم أحد بقراءة منشوراتنا.



Deutschland – Berlin
Schlachthofstrasse 20
004917621419894
lllliberallabrary@gmail.com

شعارنا

حرية الاختيار تعني اختيار الحرية، فالحرية لا تختار إلا ذاتها.

جون كيراتشر

كيف وُجِدَت الآلهة

(ديانة التوحيد القمري)

ترجمة و إعداد

إبراهيم قيس جركس

الليبرالية 2020

المحتويات

القسم الأول: كيف وُجِدَت الآلهة..7
المقدّمة..8
كيف وُجِدَتْ الآلهة..12
المفهوم اللاهوتي..13
المفهوم المثالي للتاريخ...15
المفهوم المادي للتاريخ...17
الأديان: ظلال جواهر حقيقية......................................23
حياة بعد الموت: الروح..25
الفايكينغ..29
الآلهة النرويجية...30
الآلهة الإغريقية..33
الأولمب..38
المحمديون...41
المسيحيون...41
أورشليم الجديدة...45
الإقطاعية...48
الإصلاح..49
العمال الذين ظلّوا متديّنين.......................................53
الطبقة العاملة الملحدة...55
البروليتارية الثورية...60
التنظيم والتحرّر..60
القسم الثاني: ديانة التوحيد القمري.....................................65
مدخل..66
الله، بوصفه إلهاً للحرب..71
مدن..105
"الله" بوصفه إلهاً للقمر..117

القسم الأول

كيف وُجِدَت الآلهة

المقدمة

عندما كنت على احتكاك بالحزب الشيوعي في أمريكا، في خريف عام 1910، سمعت بعض أعضائه وهم يتحدّثون عن المفهوم المادي للتاريخ. لم يسبق لي أن سمعت العبارة من قبل وقد أصابني الفضول لمعرفة معناه الحقيقي. وعندما تقرّبت من هؤلاء الأعضاء، طلبت منهم شرحاً لهذا المفهوم. وسرعان ما اكتشفت _كما بدا لي في ذلك الوقت_ أنّ هناك شيئاً ما مبهم فيه وأنّ الغموض يتخلّله.

لقد أخبروني بأنّهم يؤمنون به وكانوا متأكّدين من أنّه مفهوم علمي أصيل، لكن كان ليس من السهل تفسيره لأنّه كان "عميقاً" للغاية. قالوا لي بأنه كان عليّ أن أقرأ كثيراً جداً لفهمه واستيعابه. فيما بعد، واتتني الفرصة لأطلب من بعض الأعضاء الدائمين والمخضرمين في ذلك الحزب أن يفسّروا لي معنى المفهوم المادي للتاريخ، لكنني لم أحرز أي تقدّم يذكر.

وتوصّلت إلى نتيجة مفادها أنّني كنت سطحياً جداً وعقلي ضحل بشكل معيب لأفهم هذه المسألة في ذلك الوقت. في هذه الأثناء، كنت قد اطّلعت على مجموعة من الأوراق الشيوعية وأخذت في قراءة الكتب والكرّاسات الشيوعية أيضاً. وسرعان ما لاحظت أنّ هناك الكثير من التناقضات التي تتخلّل النظرية الشيوعية.

المؤلّفون والمحرّرون كانوا يمتلكون أفكاراً ووجهات نظر مختلفة، وغالباً ما كانت متضاربة، حول مجموعة في غاية الأهمية من المسائل المبدئية. وقد فُسِّر هذا الأمر لي بأنه "اختلاف جائز في الآراء ووجهات النظر من جانب

الكتّاب". وقد تمّت طمأنتي بأنّ كل شيء على أحسن ما يرام. وأنّ "ضمن أي حركة ديمقراطية كحركتنا، يجب السماح لحرية التعبير بين الأفراد".

لم أكن راضياً بهذا الجواب. إذ شعرت أنه لا بدّ أنّ هناك شيء ما خاطئ في حركة سمحت بكل هذه الآراء المختلفة على مبادئ الشيوعية. فالآراء المتعارضة والمتضاربة بشكل مباشر قد لا تكون جميعها صحيحة بالضرورة. كنت ما أزال شخصاً متديناً، إلا أني كنت شكوكياً بعض الشيء، وطرحت السؤال التالي بشكل طبيعي:

«ما موقف الشيوعية من الدين؟»

تلقّيت على سؤالي هذا ثلاثة إجابات مختلفة. فقد أخبرني البعض أنّ الشيوعية والدين في توافق وانسجام تام، وأنّ «الشيوعية تمثّل المسيحية العملية». آخرون أخبروني أنّ «الشيوعية فلسفة مادية ولذلك لا تترك أي مجال للإيمان بالغيب أو الماوراء». وكان هناك آخرون قالوا لي «أننا لا نقف أي موقف من أي نوع من الدين، فهو مسألة خاصة».

ولطالما حيّرتني هذه المواقف والآراء المتضاربة. من بين الكتب التي كنت قد اشتريتها كانت أعمال كل من كارل ماركس وفريدريك أنجلز. وكنت سابقاً قد قرأت بعض المخطوطات التي جرى ذكرها ورأيت العديد من الاقتباسات من أعمالهما خلال الاجتماعات الشيوعية الدورية. ثمّ قلّبت انتباهي لكتاباتهما وبعد فترة بدأت بفهم المقصود من فكرة المفهوم المادي للتاريخ. وكلما قرأت كتاباتهما أكثر، اتضّحت الفكرة بشكل أكبر. وبدأت بالتغلّب على موقفي السابق غير المحدّد في السؤال عن الدين، وعلى الأسئلة

الأخرى، كالإصلاحات الاجتماعية، وظيفة المنظّمات الفردية (أي الاتحادات)، الدولة، والمؤسسات الأخرى.

وتوصّلت إلى نتيجة مفادها أنّه إذا كان كل من كارل ماركس وفريدريك إنجلز محقين، فأغلب الذين يطلقون على أنفسهم لقب شيوعيين، يجب أن يكونوا مخطئين.

في ذلك الوقت كنت متحمّساً جداً بشأن التأثير المنير لمفهوم المادية التاريخية. إذ أنّه كان قد سلّط الضوء على مدى ضآلة المعرفة التاريخية التي كنت أمتلكها سابقاً. كنت قد تعلّمت إلقاء المحاضرات للتو. وكنت قد خضت بعض النقاشات حول مبادئ الاقتصاد والتاريخ الصناعي. وقد حدث لي بأني أدركت أنني إذا تمكّنت من تفسير معنى المادية التاريخية للعمال والطبقات العاملة، فإنني بذلك أستفيد من وقتي أيّما استفادة. لقد حاولت تجربة المادة الموجودة تحت تصرّفي وأصبحت كثيراً ما ألتقي بسؤال لطالما أزعجني وأقلقني. كان السؤال على الشكل التالي:

«من الجيد استخدام مفهوم المادية التاريخية لتفسير الأشياء والأمور المادية وعلاقاتها، لكن كيف لنا أن نفسّر من خلالها الأمور الروحية، هل يمكن لمفهوم المادية التاريخية أن يقوم بذلك؟»

كان هذا هو التحدّي الذي أجبرني على التوصّل إلى استنتاج مفاده أنّه إذا لم يكن من الممكن تفسير الأمور الروحية من وجهة نظر المادية التاريخية، عندئذٍ لابد أنّ هناك خطأً معيّن يتخلّل مفهوم المادية التاريخية. كنت مؤمناً أنّ ذلك ممكن، وشرعت في العمل فوراً.

البيانات الواردة خلال الفصول التالية قد تمّ جمعها من مصادر مختلفة. ولا أنسب أيّة أفكار لي. كل ما قمت به هو أني جمعت أفكار الآخرين مع بعضها بهدف اكتشاف المكان الذي جاء منه ما يسمى بالأمور الروحية، وأيضاً بهدف إجراء مقارنات مع التفسيرات الأخرى للتاريخ، لإثبات صحّة ومعقولية المنهج الماركسي.

جون كيراتشر

شيكاغو، 1929

كيف وُجِدَتْ الآلهة

ما أن أصبح الإنسان واعياً ومدركاً لوجوده، سرعان ما أصبح قادراً على التفكير، وكان ملزماً بطرح السؤال على نفسه:

«من أين أتيت؟» و«إلى أين أمضي؟»

وكان من الطبيعي جداً أن يتساءل عن كيفية مجيئه إلى العالم وظهوره على الأرض وماذا سيصيبه بعد الموت. كان يرى أصحابه يستغرقون في نومٍ عميق، من دون أن يستيقظوا. كان يرى آخرون يُقتَلون، وتخبو حياتهم. وسعى جاهداً لإيجاد حلول لهذه المشاكل التي جعلت الإنسان البدائي يبتكر معتقدات وأفكار حول الحياة بعد الموت وبكائنات خارقة أقوى من الإنسان.

عندما نعود بتفكيرنا إلى الوراء، إلى خبرات وتجارب الجنس البشري، التي تشكّل تاريخ الإنسان، نلاحظ أنّ الإنسان قد شكّل ثلاثة طرق مختلفة لتفسير نشاطاته. بمعنى آخر، لم تكن هناك سوى ثلاثة مفاهيم مختلفة للتاريخ، ثلاث تفسيرات رئيسية لهدف الإنسان وغايته على هذا الكوكب. صحيح أنّه قد تمّ وضع أكثر من ثلاثة تسميات لهذه المفاهيم للتاريخ، لكنّها جميعها يمكن جمعها في التسميات الثلاث التالية:

أولاً، المفهوم اللاهوتي للتاريخ.

ثانياً، المفهوم المثالي للتاريخ.

ثالثاً، المفهوم المادي للتاريخ.

المفهوم اللاهوتي

يقوم المفهوم اللاهوتي للتاريخ على أساس الاعتقاد أنّ هناك كائن غيبي أو كائنات غيبية خارقة تتجاوز العالم، سواء أكانت خيّرة أو شريرة، وأنّ جميع أفعال الجنس البشري وأعماله ما هي إلا انعكاسات لإرادة هذه الكائنات الماورائية. لذلك، فالتاريخ ما هو إلا سجلّ للمخطّط الإلهي الظاهر للأشياء.

إنّ مفهوم التاريخ استولى على الساحة لعصور عديدة. لكنّه بات اليوم حقلاً مهجوراً تقريباً. اللاهوتيون أنفسهم لن يعودوا يدافعون عنه، حيث أنّه يضعهم في موقف عبثي. فإذا كان صحيحاً أنّ الإنسان يسير وفق إرادة إلهية، وأنّ أفعاله ما هي إلا جزء من خطّة إلهية، وإذا كان مقرّراً منذ الأول أن يؤدّي أفعلاً معينة ولا يستطيع الخروج عن الخطّة والقيام بأفعال أخرى، عندها يكون غير مسؤول بشكل مباشر عن أفعاله.

القتل، الاغتصاب، السرقة وغيرها من الجرائم والجنح الأخرى جميعها أعمال ليست من صنع يديه. فما هو إلاّ وكيل متواضع وحقير ينفّذ مخطّط مشيئة إلهية أكبر وأقوى منه. يعبّر بنجامين فرانكلين في سيرته الذاتية عن مفهومه على الشكل التالي «والآن أنا أتحدّث عن شكر الله وحمده، أنا أستحقّ بتواضع شديد أن أعترف بأني أنسب السعادة التي ذكرتها في حياتي السابقة لعطاءه الإلهي المقدّس، والذي قادني لطرق ووسائل لجأت إليها وحقّقت النجاح. وإيماني بذلك حثّني على الأمل، ومع ذلك لا يجب أن أفترض أنّ نفس الطيبة والنعمة ستستمرّ في النزول عليّ بتلك الدرجة من السعادة أو تمكّنني من تحمّل انقلابها القاتل، والذي قد أتعرّض له كما تعرّض له آخرون،

إنّ طبيعة ثروتي المستقبلية معرفة له فقط في نطاق القوى التي يباركها، حتى على مآسينا».

روبرت برنز بدوره يعبّر عن نفس المعتقد في صلاته:

«أيّها الخالق العظيم! الذي تعلّمني كلّ ما أعرفه، إلا أنّي متأكّد، بأنّي أعرفك وأعرف جميع أعمالك على الأرض، لكن إذا كانت معاناتي تحلّ بي من أجل أن تتناسب مع خطّة حكيمة إذن قرّرت روحي أن تتحمّل بثبات دون أن تشتكي»

عاش كل من برنز وفرانكلين في نفس الفترة أو العصر، عصر الثورات البرجوازية. خلال تلك الأيام، كان كلاهما من المثقفين المتقدّمين، لكنّهم لم يكونوا قادرين على التخلّص من المفاهيم اللاهوتية للكون وحكمه الإلهي.

حسب المفهوم اللاهوتي للتاريخ، من المنطقي الاعتقاد بأني إذا ما قمت بقتل شخص لن أكون أنا الملام. فليس بإمكاني القيام بأي شيء حيال ذلك طالما أنّ هناك قوّة أكبر مني قرّرت بالنيابة عني بأن أنفّذ هذا الفعل.

من جهةٍ أخرى، إذا كان عليّ إنقاذ حياة شخص آخر، مقابل المخاطرة بنفسي، عندها لن أنال أي فضل بقيامي بذلك، طالما أنّ الأمر محتوم مسبقاً. كم مرةً سمعنا الناس يردّدون عبارة «إنّها مشيئة الله».

إذا تمّ اعتماد هذا المفهوم اللاهوتي للتاريخ، عندها يعني ذلك أنّ الإنسان ليس مسؤولاً بشكل مباشر أو غير مباشر عن أفعاله. فأفعال "الخير" و"الشر" التي يقوم بها ليست أفعاله فعلياً. فما هو إلا عبارة عن أداة حقيرة ومتواضعة تنفّذ أوامر إرادة أقوى وأعظم. أمّا معاقبته على أفعاله وتصرّفاته

هنا، أو في "العالم الآخر"، على ما اقترفه من أعمال ولم يكن بيده تجنّب اقترافها، فهو موقف عبثي وغير قابل للدفاع عنه.

المفهوم المثالي للتاريخ

هذه النظرة إلى التاريخ، والتي تقدّمت اليوم بفضل المجتمع الرسمي، تقوم على نظرية الإرادة الحرة. فحسب هذه النظرة، الإنسان هو مخلوق حرّ. فهو يمتلك القوّة والإرادة للاختيار فيما يتعلّق بأفعاله وتصرّفاته، القدرة على الاختيار بين "الخير والشر". قد يمدّ له الله يد المساعدة، أو قد يغويه الشيطان، لكنّ الخيار النهائي يكون بيده وحده ولا أحد غيره.

هذه الإرادة الحرة، هذه القدرة على الاختيار بين "الخير والشر"، ضرورية جداً لصنع إنسان "خطّاء". فإذا لم يكن بمقدور الإنسان الاختيار ف يمكن أن يكون "خطّاءً". عندها ستصل عملية إنقاذ الأرواح إلى نهاية مسدودة. اليوم تدافع الكنية عن نظرية الإرادة الحرّة باستماتة.

لكن ما هي الإرادة؟ إنّها العقل الذي تتشكّل داخله الأفكار. المفهوم المثالي للتاريخ قائم على أساس فكرة بشرية. من وجهة نظر المدافعين عن هذا المفهوم، تعتبر هذه الفكرة غاية في الأهمية. فالأشخاص الأخيار والصالحين هم الذين يحملون أفكاراً خيّرة وصالحة، أمّا الأشخاص الأشرار والسيئين فهم أولئك الذين يحملون أفكاراً سيئة وشريرة. الأفكار، سواءً أكانت خيّرة أم شريرة، تأتي أولاً ثمّ تتبعها الأفعال.

الأشخاص الأذكياء هم نتاج الأفكار الذكية. والأشخاص الأغبياء هم نتيجة أفكارهم الغبية الخاصة. الأمم المتقدّمة تقوم على أفكار تقدّمية، أمّا الأمم المتخلّفة فإنّها تقوم على أفكار رجعية متخلّفة. الأشخاص التقدميون والناجحون هم كذلك بفضل أفكارهم التقدمية أمّا الأشخاص المتخلّفون فهم نتيجة أفكارهم البالية والقديمة. وهذا هو جوهر المفهوم المثالي للتاريخ.

إذا تبنّينا هذا المفهوم المثالي للتاريخ وطبّقناه على المجتمع بشكل عام نجد أنّ الأمم العظيمة هي نتاج أمم معيّنة لديها رجال عظماء، والذين هم بدورهم نتيجة أفكارهم العظيمة. فالتاريخ _من وجهة النظر هذه_ يعني ببساطة أنّ الرجال العظماء هم صنّاع التاريخ. ويطلق على هذه الحالة في بعض الأحيان اسم "نظرية الرجل العظيم التاريخية". طبعاً تقع ضمن نطاق المفهوم المثالي. وكامل المفهوم يقوم على أساس الفكرة القائلة بأنّ الفكرة تأتي أولاً ثمّ تتبعها الأفعال بعد ذلك.

قد يكون هذا المفهوم صحيحاً إلى حدٍ ما. فلا يمكن إنكار حقيقة أنّ الأفكار تسبق الأفعال. على سبيل المثال، لا يمكننا أن نحصل على منزل حتى نمتلك في عقولنا فكرة عنه. يمكننا تخمين أو تصوّر الشكل الذي سيبدو عليه قبل البدء ببنائه. يمكن للمهندس المعماري أن يرسم مخطّطاً، إذ بإمكانه تصوّير المنزل قبل بنائه. فبإمكانه أن يريك كيف سيبدو بعد الانتهاء منه. ليس فقط أول طاولة من نوعها تمّ تصوّرها بكل كل طاولة يتمّ إنتاجها. ففكرة الطاولة ربما قد تولّدت أساساً من عملية وضع الطعام على صخرة مسطّحة أثناء

تناوله. إنّ تطبيق هذا المفهوم على جميع الأشياء والأمور، نحن ملزمون للاعتراف بأنّ الفكرة جاءت قبل صنع الطاولة.

فإذا استعرضنا التاريخ من خلال وجهة النظر هذه عندها نكون مجبرين على الاستنتاج بأنّ كشفها يعني كشف الأفكار الإنسانية وسبرها. ليس هناك أي خطأ يتخلّل هذه النظرة حتى هذا الحد، لكنها لا تمضي إلى أبعد من ذلك، حيث أنّنا نواجَه من قبل سؤال غاية في الأهمية:

«إذا كانت كافة إنجازاتنا هي نتاج أفكارنا، إذا كان التاريخ ما هو إلا النتيجة الحتمية للأفكار الإنسانية، فمن أين جاءت هذه الأفكار أصلاً؟»

المفهوم المادي للتاريخ

والجواب الذي نقدّمه على السؤال السابق هو أنّ «كافة الأفكار الإنسانية قد نبعت من البيئة المادية التي عاش فيها وتحرّك خلالها» هذا هو جوهر مفهوم المادية التاريخية.

في مجتمع بدائي، حيث يكون الإنسان على احتكاك دائم مع بعض الأشياء ولا يستخدم سوى أدوات أو أسلحة بدائية قليلة، تكون أفكاره بدائية، ومحدودة جداً. أمّا في مجتمع متقدّم وعالي التعقيد، حيث يكون الإنسان على احتكاك مع عدد لا متناهي من الأشياء والمواد، أي أنّه ضمن بيئة معقّدة، عندها تكون أفكاره معقدّة، تحمل جوانب متعدّدة، وواسعة.

بيئة الإنسان المادية هي التي تحدّد ليس فقط نطاق أفكاره بل أيضاً سماتها وخصائصها العامة. فالقانون الأول للحياة هو "المصونية الذاتية". على

الإنسان أن يأكل ويحمي نفسه من العناصر. إنّ نموّ أفكاره يتبع بشكل رئيسي تطوّر وسائل وأدوات تأمين العيش الاستمرار.

والسؤال الأول الذي يطرحه الإنسان، السؤال الوحيد الذي بقي هو السؤال الأول بالأغلبية، لا يتعلّق بالطريقة التي جئنا من خلالها إلى هذا العالم أو ما قد يحدث لنا بعد موتنا، بل "متى سنأكل؟". ذلك هو السؤال الأبدي. قد ينكر المثاليون مثل هذه "النظرة الدنيئة". لكننا يمكننا الاعتماد عليهم لنكون على طاولة الطعام في الوقت المحدّد.

منذ عدّة سنوات مضت تمّ إجراء اختبارات وتجارب سيكولوجية ضمن سجن كبير. كان من المقرّر إعدام أحد السجناء المحكومين بالإعدام شنقاً، وفي ساحة المحكمة حيث يمكن لجميع السجناء مشاهدة عملية الإعدام. ما أن تمّ لفّ الحبل حول رقبة الرجل المحكوم واستعداد المسؤول لجذب العتلة لإسقاط المحكوم، كان مئات المساجين الذين يشاهدون عملية الإعدام من خلال نوافذ زنزاناتهم صامتين. وكان علماء النفس يراقبون باهتمام وعن قرب أثر المشهد عندما علا صوت أحد المساجين مطالباً بمعرفة موعد طعامه: «متى سنأكل؟»وتبع ذلك صياح واحتجاجات مطالبة بالفطور.

إنّ الطريق الذي سار فيه الإنسان، مسافراً عبر العصور، كان طريقاً اقتصادياً بامتياز. فالأخلاق، والمبادئ، الدين، السياسة، الحرب، الفنون، وكافة الإنجازات التي حققها الإنسان، جميعها تقوم على أساس الاقتصاد. حاول فقط أن تبتعد عن الاقتصاد وانظر إلى أي مدى يمكنك المضي. فعندما قال نابليون: «الجيوش تسير على بطونها»، فهو قال نصف الحقيقة. فالجنود

ليس هم وحدهم الذين بحاجة لأن يأكلوا. والحقيقة هي أنّ كامل المجتمع يسير على بطنه. وهذه حقيقة غاية في البساطة لكنّ أغلب الناس يغضّون أبصارهم عنها.

التنظيم الاجتماعي الحالي معقد جداً، البنية الفوقية الاجتماعية تخفي الأساس الاقتصادي الذي تقوم عليه. الكثير من الناس يشعرون بالأمان وباتوا يتغاضون عن حقيقة أنّهم يأكلون ويلبسون الملابس، وأنّ هذه الأشياء ينبغي إنتاجها من خلال العمل. لكن هناك الملايين من الذين لا ينالون أي فرصة لنسيان ذلك. إنّ المشكلة الاقتصادية تقف عند الباب.

في المرتبة الثانية بعد هذا العامل مباشرةً _الاقتصاد_ تأتي العوامل المادية الأخرى، كالمناخ، الطبوغرافيا والخواص الطبيعية للبيئة التي يعيش فيها الإنسان. إذا كان المجتمع منطقة زراعية، أو مدينة صناعية، فإنّ لهذا الأمر تأثير مطابق ومنسجم على أفكار الشعب ومعتقداته. فجميع أفكار الإنسان، من أديان، أخلاق، سياسة، إلخ، ما هي إلا انعكاس للاقتصاد والبيئة المادية. فالدماغ يعمل كالمرآة تماماً. فهو يعكس جميع الأمور والأشياء المدخلة إليه من الوسط الخارجي. والحواس الخمس تقوم بنقل مستقبلاتها إلى الدماغ، "غذاء المخّ". يقوم الدماغ بهضم هذه المستقبلات التي استقبلتها الحواس ويحوّلها إلى أفكار. إذا أصبحت الأفكار مثبّتة تقريباً أطلقنا عليها تسمية آراء. فالدماغ لا يمكنه عكس ما هو غير موجود. فهو لا يعكس إلا الأمور الحقيقية والواقعية.

عندما يولد الإنسان يكون عقله صفحة بيضاء ناصعة لم يدوّن عليها أي شيء بعد. وأنا هنا لا أقول أنّ عقله خال، بل غير قادر على أداء عملية

التفكير. في هذه المرحلة يكون محكوماً من قبل الغريزة وحدها. فهو يستجيب للجوع أو الألم. أمّا يقظة عقله تتبعها يقظة في الحواس. الحواس الخمس، الرؤية، السمع، الذوق، الشم، واللمس، يجب أن تُفَعّل أولاً قبل أن يكون من الممكن تجميع أيّة أفكار حول أي شيء في دماغ الطفل. كافة الأكاذيب والخدع، جميع الخرافات والمخاوف، التي يكتسبها الطفل خلال نموه، هي نتاج بيئته. إنّها بمثابة "الهبات"، في أغلب الأحيان، التي يمنحها آباء مولعون لكن أغبياء لأبنائهم. فأي طفل عادي أو متوسط، أو حتى أقل من عادي، سيصبح ذكياً إذا اختلط نع أشخاص أذكياء. لكنّ نفس الطفل، إذا اختلط مع أشخاص أغبياء، فإنه سينمو وعقله مليء بالترّهات والأفكار الغبية، والخوف من الوحوش والعفاريت الخيالية. قد يقضي الطفل سنوات عديدة في الخوف من الكائنات الخفية والمخيفة والتي تعلّم الاعتقاد بوجودها والإيمان بها خلال تلك السنوات. وتلك هي الحالة دائماً عندما يكون الطفل سيء الحظ ويحظى بأهل أغبياء، أو أن يولد ويحيى ضمن بيئة متخلّفة، حيث تنتشر الخرافة والأوهام بين أفارد مجتمعه.

الحواس الخمس أشبه ما تكون بمسارات صغيرة تنقل مستقبلات الحواس إلى الدماغ. العديد من الناس يحملون أفكاراً غريبة حول طريقة عمل الدماغ ووظيفته. إنهم يضعون حول العقل سياجاً من اللغز والحيرة، في حين أنّ الدماغ ما هو إلا عضو طبيعي مثله مثل أي عضو آخر من أعضاء الجسد. وظيفة اليد، على سبيل المثال، تتمثّل في المسك والالتقاط، الكتابة وهكذا. ووظيفة القدمين هي المشي، الجري، القفز، وهلمّ جرا. ووظيفة المعدة هضم

الطعام. أمّا وظيفة الدماغ فهي التفكير. لكن لا وجود لأيّة أفكار من دون مستقبلات حسية. إذا لم يدخل المعدة أي طعام، لا يمكن أن تكون هناك عملية هضم. وإذا لم تدخل الدماغ أيّة مستقبلات حسية، فلا يمكن أن يكون هناك فكر. تنقل الحواس الخمس "غذاء الفكر". والعقل ببساطة هو عمل الدماغ ونشاطه، كما أنّ الهضم هو عمل المعدة ووظيفتها. تلك الوظيفة التي يقوم بها العقل والتي نسمّيها ذاكرة لا يمكن فصلها عن الدماغ، كما لا يمكننا فصل عملية الهضم عن المعدة. تلك الوظيفة للدماغ التي نسمّيها ذاكرة ما هي إلا عملية تخزين للمستقبلات الحسية.

صور لا حصر لها، أو صور فكرية، يتمّ تخزينها والاحتفاظ بها، بالشكل الذي كانت عليه، ليتمّ استخدامها مجدّداً عند الحاجة إليها، وفي أحيان كثيرة عندما لا نكون بحاجتها أو لا نرغب بتذكّرها حتى. هذه العملية تشبه عملية تخزين أعداد لا تحصى من الكلمات على جهاز التسجيل ليتم الاستماع إليها مجدّداً عندما نريد ذلك. وتبقى أشرطة التسجيل صامتة حتى نوصلها بالآلة التي تشغّلها وتصدر عندها تلك الكلمات عن طريق مكبّر الصوت. وذاكرتنا تبقى صامتة حتى يتمّ وصلها بالآلية العقلية، والتي نمتلك القدرة على تشغيلها عند الحاجة للتعبير عن المستقبلات الحسية المخزّنة، عن طريق الحديث، أو حتى الكتابة، وهلم جرا.

لا توجد صور فكرية في الدماغ إلا تلك التي يوجد لها مقابل في مكان ما من العالم الخارجي. بمعنى آخر، كافة الأفكار، مهما كانت معقدة أو غامضة، لها مصادر مادية خارجية، ويجب أن تكون مادية في أصلها. لا يمكن أن ينبثق

الفكر من أي شيء إلا المادي. ولا يمكن أن ينبثق من لا شيء. وحتى الأمور والأفكار الخيالية، كبابا نويل على سبيل المثال، يوجد أصل مادي له في العالم المادي متجسّد في صورة رجل عجوز لطيف المظهر ذو لحية طويلة وبيضاء. أو كما يقول جوزيف ديتزغين فيما يتعلّق بالإيمان بالآلهة:

(ما هي إلا عبارة عن تركيبة فكرية لجسد أنثى يافعة ذات أجنحة على ظهرها. كلا الأمرين ماديان، الأجنحة والأنثى اليافعة).

هناك قصّة تروى عن رسّامي العصور الوسطى الكبار الذين كانوا يرسمون صوراً لملائكة على جدران الكنيسة. يقول أحد كهنة الكنيسة ضاحكاً على إحدى الصور: «من قال أنّ الملائكة تطير وهي مرتدية صنادل؟». فأجاب الرسّام على الفور «ومن ذا الذي رأى ملاكاً لا يرتدي صندل؟»

إذا رأيت كابوساً وكنت تحلم بفيلة ذات أجنحة خضراء، أو أيّة خيالات وأحلام من أي نوع كانت، ومهما كانت خيالية، فيمكنك أن ترجع جميع هذه الصور الفكرية المركبة إلى مصادرها المادية. في الحقيقة، من المستحيل التفكير في أي شيء ليس له مصدر مادي. لم يكن هناك أي فكر في عقل الإنسان سوى ذلك الذي يمكن إرجاع أصله إلى الطبيعة ذاتها. لا يمكننا التفكير بلا شيء. حاولوا ذلك وانظروا بأنفسكم إلى أي مدى ستبلغون.

إلا أنّه ما زال هناك بعض الناس الذين يؤمنون أنّ الفكر متأصّل، أي أنّنا عندما ولدنا كانت أدمغتنا مجهّزة مسبقاً بمخزون معرفي كامل. هذه الفكرة غير منطقية على الإطلاق. فمذهب الأفكار الفطرية قد تمّ استبعاده الآن بشكلٍ كامل. هناك آخرون، في حين أنّهم لا يؤمنون بأنّ المعرفة متأصّلة في

الدماغ البشري، نراهم يعذّبون أدمغتهم في البحث عن أشياء غير موجودة. إنّهم يعتقدون أنّهم إذا حبسوا أنفسهم داخل غرفة مغلقة فباستطاعتهم استخراج المعرفة من "أعماق عقولهم"، بطريقة أشبه باستخراج الماء من داخل البئر. فالشيء الذي لا يدخل إلى العقل لا يمكن استحضاره منه.

فإذا أردنا أن نمتلك معرفة حول موضوع معيّن علينا أن نعود إلى مصادره المادية ورصده بحواسنا، أو علينا الرجوع إلى الكتب أو وسائل أخرى لتحصيل تلك المعرفة التي عمل آخرون قبلنا على تحصيلها ومراكمتها باستخدامهم لحواسّهم وتسجيلها في الكتب. ينبغي أن يتّضح أمام ناظريّ كل إنسان يمتلك ذرّة ذكاء أو عدم تحيّز أنّ البيئة المادية هي أساس ومصدر جميع الأفكار. والبيانات التالية التي أقدّمها حول بعض الأديان الرئيسية في العالم هي بغرض إثبات صحّة ما ذهبت إليه.

الأديان: ظلال جواهر حقيقية

إنّ مختلف الأديان التي طوّرها الإنسان تقدّم لنا برهاناً ساطعاً على صحّة المنظور المادي للتاريخ. إلا أنّ البعض سيقول:

«لكن ماذا تعني بمصطلح "الدين"؟».

وللإجابة عن هذا السؤال سأضع تعريفاً محدّداً للدين على أنّه «نظام عبادة أو عادات معيّنة تقوم على الإيمان بوجود قوّة ماورائية خفيّة، كائن خارق أو مجموعة من الكائنات الماورائية الخارقة، بالإضافة إلى الإيمان بوجود حياة ما بعد الموت».

طبعاً أنا مدركٌ تماماً لحقيقة أنّ مصطلح "دين" ذو مدى أوسع من ذلك اليوم. لكن بما أنّي قد حدّدت المصطلح، فسيعرف القارئ ما أقصده تماماً. من أين تأتي هذه الأفكار؟ هل هي متأصّلة داخل دماغ الطفل منذ لحظة الولادة؟ طبعاً: كلا...

إنّ الأفكار الدينية مكتسبة. إنّها نتيجة تربيتنا وممارستنا. فإذا كنا قد ولدنا ضمن قبيلة بدائية فسنكون قد تربّينا عن "تابوهات" معيّنة، وبانتهاك تلك التابوهات سنكون قد جلبنا غضب الأرواح الشريرة على أنفسنا وألحقنا الضرر والأذى بالقبيلة. مثل هذه البيئة لا يمكن أن تنتج أيّة معتقدات وأفكار أخرى.

المعرفة المسيحية، من جهةٍ أخرى، تتطلّب بيئة عملية معقدّة جداً. كميات هائلة من الأموال يتمّ توظيفها كل الوقت. يجب أن يكون مجتمعاً حيث يكون فيه البعض "فشلة" وآخرون "ناجحون". الدين مجرّد تطوّر طبيعي. وهذه هي الحال في أكثر أشكاله بدائيةً. إنّه متوافق مع كافة الدوافع الطبيعية للبشر. ذلك القانون الطبيعي "المصونية الذاتية" _أول قانون من قوانين الطبيعة_ بالغ القوة وشديد التأثير.

لا يوجد شخص على وجه الأرض يرغب بأن يموت. كل شخص يريد أن يعيش. وحتى الناس المتديّنون، أولئك الذين يتغنّون ليل نهار بأمجاد السماء وجمال الجنان ومتعها والحياة الأبدية، لا يرغبون بالموت أيضاً. وعندما يمرضون فقد يلجأون إلى الصلوات، لكنهم من كل بدّ يذهبون إلى الطبيب. إنّهم لا يريدون الموت. بل إنّهم يفضّلون البقاء في هذا "العالم التعيس والآثم"

قدر الإمكان. وهناك سبب جيد لذلك: إنّه العالم الوحيد الذي هم متأكّدون منه.

إنّ قانون المصونية الذاتية بفرض نفسه ويتخطّى كل عقبة. فالغنيّ سيدفع كل أمواله، وهو مستعدٌ للتخلّي عن كل ما يملك، للحفاظ على حياته. أمّا الفقير، أو المتسوّل _ماداً يده للناس، مريضاً وسقيماً، لا يتناول خبزه إلا من مال الصدقات_ فإنّه سيبذل جهده للبقاء على قيد الحياة. فالحياة ثمينة، والروح غالية، حتى بالنسبة له.

حياة بعد الموت: الروح

إنّ الإنسان وبسبب رغبته الشديدة والملحّة للحياة والعيش ابتكر مفهوم الحياة الأخرى، أو الإيمان بالحياة بعد الموت. والأحلام أيضاً بدورها لها دو كبير في تعزيز الإيمان بهذه الفكرة.

لنتأمّل حالة الإنسان البدائي الذي يقطن الغابة. فخلال تفاعله مع الطبيعة يواجه الكثير من الأسئلة التي يجد نفسه مجبراً على الإجابة عنها. ظلّه، أو انعكاس صورته على بركة الماء عندما ينحني ليشرب، صدى صوته، أحلامه، جميع هذه الأمور تتطلّب تفسيرات ملحّة. إنّه يبحث عن الجواب كما يفعل الطفل. هذه الأشياء هي جزء منه ومن ماهيته، إلا أنّها ليست منه في نفس الوقت.

يستطيع الإنسان المعاصر أو الحديث التعرّف على ظلّه أو انعكاسه على صفحة الماء، لكنّ الإنسان البدائي لم يكن يستطيع. جميع هذه الأمور كانت

لغزاً بالنسبة له. كان ظلّه يتبعه أينما ذهب، وفي أحيان أخرى كان يغيّر شكله أو حتى يسبقه حتى. فظنّ أنّه جزء منه.

لقد روى الرحّالة قصصاً وروايات عن شعوب أصلية في مناطق مختلفة من العالم تعتنق مثل هذه المعتقدات. لقد أخبرونا أنّ أفراد هذه الشعوب الأصلية عندما يسيرون بجانب النهر كانوا يمشون بحذر مخافة أن يسقط خيالهم في الماء، كي لا تتلقّف التماسيح خيالاتهم وتسحبهم في النهر.

هناك شعوب بدائية ما زال أفرادها يؤمنون أنّ أسماؤهم جزءاً لا يتجزأ من ماهيتهم. وهم يخفونها بحذر شديد عن الغرباء أو الأعداء مخافة استخدامها من قبلهم لإلحاق الأذى والضرر بهم. إنّهم يؤمنون أنّ صدى صوتهم هو صوت حقيقي. إنّ صدى صوتهم هو أناهم الآخر يتكلّم. فتكرار نفس الأصوات التي يصدرونها يعزّز هذه الأفكار والمعتقدات ويساعد على ديمومتها. إنّهم لا يعرفون شيئاً عن ارتداد الأمواج الصوتية. الصدى، الصوت الذي يسمعونه في بعض الأحيان، يعتبرونه تحذيراً من أناهم الآخر. والأحلام بالنسبة لهم ليست مجرّد خيالات من صنع العقل، إنّما هي تجارب حيّة وفعلية.

دعونا نأخذ على سبيل المثال سكّان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر. فعندما يخلد الهندي الأحمر للنوم فإنّه قد يحلم بأنّه يمضي في رحلة طويلة. رحلة صيد تستغرق معه عدّة أيام. يمضي في رحلته مع شخص آخر ويصطادان حيوانات كثيرة. لكن عندما يستيقظ وينظر حوله فإنّه لا يرى أيّة حيوانات ميّتة بجانبه. أدواته كلها _قوسه وسهامه، فأسه، وخنجر الصيد

خاصّته_ بجانبه. كلّها نظيفة كما كانت عندما رقد للنوم في الليلة الماضية. إنّه لا يشعر بالتعب من السفر والترحال، بل يشعر بالراحة والانتعاش بعد الاستيقاظ من النوم. فاستنتج أنّه ليس هو الذي سافر لعدّة أيام، بل إنّه أناه الآخر، روحه، هي التي غادرت جسده خلال الليل. ومن ذلك الذي كان معه؟ إنّه زعيم القبيلة "جناح الصقر"، الذي مات منذ عدّة ليال. لكن من غير الممكن أن يكون ذلك هو "جناح الصقر" بلحمه وشحمه، إنّما هو أناه الآخر، عاد من عالم آخر.

أمّا أرض الصيد، فليست ذلك المرج الكئيب تكنسه الرياح الذي كانوا يسافرون عبره خلال الأيام الماضية، بل مكان جميل، مليء بالطرائد. كان ذلك مرجاً تصطاد فيه الأرواح. وإذا كان "جناح الصقر" مثواه الأخير هناك، فذلك هو المكان الذي سيذهب إليه الجميع بعد موتهم، حيث سيقضون حياةً أبدية تملؤها السعادة في أرض الأرواح.

هنا يكمن الأساس الطبيعي لمعتقد ذلك الإنسان البدائي، في الثنائية: الروح، والحياة بعد الموت في فردوس يعيش فيه حياةً أبدية. لكن من أين جاءت هذه الفردوس؟ هل هي سهل اخترعه من بيئة مادية واقعية يعيش فيها ويتحرّك ضمنها؟ هل هناك مكان آخر يمكن أن تأتي منه؟ الهندي الأحمر مثله كمثل غيره من البشر.

إنّه يخترع فردوس الخاص وحياته الأبدية وعالمه ما بعد الموت الخاص به، فهو لديه رغبته الخاصة باستمرار حياته بعد موت جسده إلى الأبد. إنّه يرغب بالصيد بين الوديان الجميلة، تجري فيها الجداول والأنهار الرقراقة والجبال

الباسقة، أو في سهول ترتع بالجواميس، الغزلان، وغيرها من الحيوانات البرية الأخرى. إنّ "جنّة الصيد الخاصة به" هي، وببساطة شديدة، بيئته الأرضية المحيطة به كما تنعكس عبر عيون عقله. إنّه يؤمن بأنا آخر له يستطيع مغادرة جسده، روح لا تموت بعد موت جسده. لكنّها له من ذلك النوع من الأرواح المجرّدة أو المفارقة للجسد أو غير المتجسّدة التي يؤمن فيها مسيحيو اليوم.

فروح الهندي تأخذ شكل الجسم البشري، جسم صاحبها. لديها أسنان وأظافر قدمين، ريش في شعرها، وتمسك فأساً في يدها. عندما حاول الغزاة الأوروبيون إقناع الهنود الحمر باعتناق المسيحية لم يلقوا استجابة قوية من قبل السكّان الأصليين. الوعد بالسعادة الأبدية كان حقاً، وكان الهندي الأحمر يؤمن بذلك. لكن كيف شكل المكان الذي سيمضي فيه أبديته تلك، ها هو السؤال. أخبره المسيحيون أنّه سيصعد إلى السماء عبر سلّم ذهبي، ومن خلال بوّابة لؤلؤية سيدخل مدينة من الذهب الخالص. أخبروه أنّ الجواهر والياقوت والكثير من الثروات والكنوز المسيحية بانتظاره، وقيثارة ذهبية يعزف بها إلى الأبد. فأجابهم الهندي الأحمر: «كلا، ليس هذا النوع من الجنان».

ولما لا؟ لأنّه لم يكن باستطاعته تخيّل هكذا مكان. فمجرّد فكرة قضاء الأبدية بهذا الشكل كانت تشعره بالنفور. لم تكن تثير اهتمامه أفكار مثل ارتقاء سلّم ذهبي وعبور بوّابة ذهبية. ربما لم يسبق له أن رأى سلّماً أو بوّابة. لم يكن هناك أياً من هذين الشيئين لا في البراري ولا في المروج.

جواهر، لآلئ، ياقوت وغيرها من الأحجار الكريمة، كل هذه الأشياء لم تكن تثير اهتمامه. لم يكن يولي اهتماماً كبيراً بشأن هذه القمامات. ولم يلقي بالاً بفكرة الجلوس على غيمة ونشر أجنحته الملائكية والعزف على قيثارته الذهبية إلى أبد الآبدين. يا لها من أبدية بالنسبة لصيّاد أو محارب! رفض الهندي الأحمر وباحتقار شديد الفردوس المسيحي. لقد كان له فردوسه الخاص، وكان ينوي قضاء أبديته في صيد الدببة، الجواميس والحيوانات الأخرى على سهول وبين تلال أرض الصيد السعيدة.

الفايكينغ

في الوقت الذي تمّ فيه اكتشاف أمريكا كان الهنود الحمر غرب نهر ميسوري يعيشون بأعلى مرحلة من مراحل البدائية والهمجية، أمّا شرق النهر فكان الهنود يعيشون أدنى مرحلة من مراحل البربرية.

لنلقِ نظرة على ميثولوجيا الشعوب الإسكندنافية في عصر الفايكينغ. عاش الفايكينغ خلال القرون التاسع والعاشر والحادي عشر للميلاد. كانوا أقرب إلى الحضارة. لذلك فقد كانوا في المرحلة العليا [الأرقى] من مراحل البربرية.

ما يصحّ عن الهنود الحمر يصحّ أيضاً على الفايكينغ، وجميع الشعوب الأخرى فيما يخصّ هذه المسألة. فأفكارهم ومعتقداتهم مصاغة على أساس الأشياء المادية التي تحيط بهم ضمن بيئتهم التي يعيشون ضمنها، كما أنّ نمط العيش الذي يفرض نفسهم عليهم _السعي وراء الرزق وتأمين العيش_ له بالغ التأثير على عقولهم. لم يكن الفايكينغ مجتمع صيّادين، على الأقل لم يكن

ذلك أسلوبهم الرئيسي في العيش. بل كانوا شعباً من البحّارة، يجوبون البحار، مقاتلين عظماء، محاربين أشدّاء عبر البحار. كانوا يسافرون بالبحر كثيراً. أبحروا بسفنهم على طول سواحل أوروبا، وحول الجزر البريطانية، وتغلغلوا عميقاً في البحر المتوسط: ومن المؤكّد أنهم وصلوا سواحل أمريكا. إذا لم يكن "ليف إريكسون" هو من اجتاز المحيط الأطلنطي، فلا بدّ أنه كان أحد من أبناء جلدته.

كان الفايكينغ يكسبون عيشهم بالغزو. عندما كانوا يرسون بمراكبهم في أي مكان كانوا يغيرون عليه ويأخذون كل ما يمكن أخذه. أغلب أوقاتهم كانوا يقضونها في المحيط، والقليل على اليابسة. ومن هذا النمط في العيش، وهذه البيئة المادية المحيطة بهم، بإمكاننا أن نستنتج نمط المعتقدات التي كانوا يعتنقونها والأفكار التي كانوا يؤمنون بها، إذ يمكننا معرفة الكثير حول مفاهيمهم ومعتقداتهم الروحية؟

الآلهة النرويجية

لم يكن الفايكينغ يؤمنون بإلهٍ واحد، بل بعدّة آلهة وإلهات. كان رئيس آلهتهم يدعى أودِن Odin (وكان يعرف عند الشعوب الأنغلو-ساكسونية وودِن Woden، أو ووتان Woutan عند الجرمانيين). كانت لديه عين واحدة بمنتصف جبينه. زوجته كانت فريغ Frigg (أو فرييا Friia عند الجرمانيين).

كان أودِن إلها قوياً وحكيماً. كانوا يهتمّون بعبادته كثيراً، لكنّهم كانوا يولون اهتماماً أكبر لعبادة ابنه "ثور Thor"، إله الرعد، الذي كانوا يجسّدونه بصورة محارب شديد البأس في منتصف العمر. كان مفتول العضلات ويحمل بيده مطرقة عظيمة. لقد تخيّله الفايكينغ على صورتهم الخاصّة. كان رجل فايكينغ إلهي.

وعلى غرار جميع الشعوب التي تجوب البحار، كانت الأعاصير والعواصف هي أكثر الأشياء التي ترعبهم تفزعهم. لم يكونوا يملكون المعرفة بالعوامل والقوى الطبيعية التي تسيّر العواصف والأعاصير التي بتنا نملكها اليوم. فقد كان تقلّب سطح البحر ولطم الأمواج العاتية لزوارقهم، تحطّم سفنهم وغرق أصدقائهم في البحر، كان كل ذلك بالنسبة لهم نتيجة الأرواح الشريرة، الشياطين، وغيرها من الوحوش والأهوال الأخرى التي تقبع في أعماق البحار والمحيطات.

فإن عصفت بهم عاصفة هوجاء فذلك معناه أن الشياطين أو العفاريت غاضبة جداً منهم. لكنّ "ثور" كان صديقهم، ويقاتل من أجلهم. كان إله الرعد، وعندما كانوا يسمعون صوت الرعد كانوا يظنّون أنّ ثور كان يستعمل مطرقته العظيمة، صاعقاً أعدائه، الشياطين المدمّرة للسفن. وبعد انتهاء الرعد كانت السماء تصفو، وهذا كان دليل على أنّ ثور قد ربح المعركة بفضل مطرقته الرعدية.

كان الفايكينغ يعبدون آلهة أخرى، مثل بالدر Balder، شقيق ثور، لوكي Loki نوع من الأرواح الشريرة والخبيثة، إله النار، والعديد من الأرواح

الأخرى الأقل أهمية ومكانة. كانت هذه الآلهة تقطن عالم الفالهالا، أو الفردوس الذي كان الفايكينغ يؤمنون أنهم سيذهبون إليه بعد الموت، وخصوصاً أولئك الذين يسقطون في المعركة. لن يدخل الفالهالا أحد غير المحارب الشجاع والقوي والمقدام والحكيم. ممنوع على الجبناء والأغبياء دخول الفالهالا.

لكن كيف هي هذه الفالهالا؟ هل كانت مدينة من ذهب، أو أرض الصيد السعيدة؟... نلاحظ أنّها كانت قاعة ضخمة للاحتفال فيها وليمة عظيمة وأمام مدخلها يقف أودِن نفسه مرحّباً بالفايكينغ الشجعان والحكماء داعياً إيّاهم إلى الوليمة. وكيف كان الفايكينغ يدخل الفالهالا، هل كان يرتقي سلّماً ذهبياً ويدخل المدينة عبر بوّابة لؤلؤية؟... كلا. بل عليه أن يبلغها على متن سفينة أو قارب. لذلك عندما كان يموت رجل عجوز من الفايكينغ كانوا يضعون جثمانه على قارب. وكان يغطّى بالأغصان وغيرها من المواد القابلة للاشتعال، ثم توقد النار بالقارب. كانت النار توقَدُ عادةً بالقارب عندما يحلّ الظلام، ثمّ يسافر الفايكينغ الميّت في قاربه المشتعل مع مدّ الليل. لقد رحل إلى الفالهالا، حيث سيستمتع بوليمته، ويرقص ويقاتل، كما كان يفعل أثناء حياته على الأرض.

ومن أين استوحى الفايكينغ هذا المفهوم عن الحياة بعد الموت؟

لم يكن هذا المفهوم سوى انعكاس البيئة المادية التي يعيش ضمنها الفايكينغ على عقولهم. كانوا عابدين للطبيعة من جهة ولآلهة شخصية من جهةٍ أخرى، خلقوها بأنفسهم وعلى صورتهم الخاصّة. هذه هي الأشياء

والأمور التي كانوا يرغبون بها في الحياة، والتي كانوا يقدّرونها ويقيّمونها، والتي أرادوا أن تستمرّ لهم في الحياة الأخرى.

ما زلنا حتى الآن نلاحظ بقايا وآثار من الميثولوجيا الاسكندنافية وأوروبا الغربية منها بعض أسماء أيام الأسبوع: Sunday/ الأحد يوم إله الشمس، Monday/ الاثنين = Moonday/ إله القمر. يوم أودِن Woden s day أوWednesday/ الأربعاء. يوم ثور Thor s day= Thursday/ الثلاثاء. ويوم الجمعة فريغ أو فريا Frigg s /Friia s day= Friday. وهناك يوم السبت Saturday وهو ببساطة يوم الإله ساتورن.

طبعاً لغتنا الحالية مليئة ببقايا أسماء من معتقدات بدائية وبربرية، وبالتأكيد ما زالت لدينا الكثير من العادات والتقاليد والطقوس والممارسات البدائية والبربرية التي ما زلنا نمارسها ونطبّقها حتى يومنا هذا.

الآلهة الإغريقية

رأينا من قبل كيف أنّ بدائيي أمريكا الشمالية قد تخيّلوا جنّتهم أو فردوسهم كانعكاس لمحيطهم المادي الذي يعيشون فيه، ورأينا كيف أنّ الفايكينغ الاسكندنافيين، الشعوب الأرقى، فعلوا نفس الشيء ضمن بيئة مختلفة. والآن سنلقي نظرة على المعتقدات الدينية لحضارة مبكّرة.

الحضارة اليونانية، أو الإغريق في ذروة عظمتهم الإمبريالية، قبل صعود الإمبراطورية الرومانية، خلقوا لأنفسهم مجموعة رائعة وعظيمة من الآلهة والإلهات. وقد خلّفوا لنا تماثيل رائعة الجمال لآلهتهم، وقد صوّروها على

صورتهم الخاصّة. كانت آلهة جميلة، قوية، ذات مظهر خلاّب ورياضي. كما أنّها كانت تحمل سمات وميّزات طبقة النخبة التي يمكن تمييزها بسهولة. يمكننا القول وببساطة شديدة أنّ الإغريق في تلك الحقبة كانوا يقدّسون ويؤلّهون أنفسهم.

كان المجتمع الإغريقي مقسوماً إلى طبقتين متمايزتين رئيسيتين: طبقة السادة وطبقة العبيد. والطبقة الثانية كانت تقوم بكافة الأعمال القاسية والمضنية. أمّا الأولى مكان طبقة حرّة متفرّغة للأعمال والمساعي الفكرية. وعندما نفهم هذه الوقائع ندرك عندئذٍ عدم وجود معتقدات بدائية بربرية بين الشعوب الراقية والمتقدّمة. فبيئتهم كانت أكثر تعقيداً وعكست نفسها في عقول الإغريق على شكل ديانة معقّدة.

لقد أنجبت الحضارة الإغريقية العديد من الفنانين، النحّاتين، المعماريين، والفلاسفة العظماء على مستوى عالٍ جداً. لقد بنوا مدناً رائعة. وما زالت أبنيتهم وصروحهم المعمارية مقياساً للبناء العظيم والرائع. كانت حياتهم الاجتماعية مليئة بالروعة والعظمة.

لم تظهر تلك الآلهة الخشنة والفظّة التي خلقها النرويجيون لأنفسهم في بيئة متحضّرة كالمدن الإغريقية. لكنّ الإغريق لم يفعلوا كما فعل البدائيون والبرابرة، فهم لم يخلقوا فردوساً وآلهة مختلفة وبعيدة عمّا فرضته عليهم بيئتهم المادية ونمط عيشهم ضمن تلك البيئة.

كان الإغريق يؤمنون بآلهة متعدّدة، وأنّ هذه الكائنات الماورائية كانت تتشارك مع بعضها القوى والقدرات التي تنسبها شعوب الحضارات المتقدّمة

لإلهها الواحد. بمعنى آخر، حيث تسود فكرة الإله الواحد مطلق القوة، فإنّه يقوم بكافة الوظائف والمهام لوحده.

إلا أنّ الإغريق قسّموا هذه الوظائف والقدرات وخصّصوا لكلٍ منها إلهاً أو إلهة. كان رئيس مجمع الآلهة هو الإله زيوس. كان كبير عائلة الآلهة ووالدهم. كان يقطن على جبل الأولمب، فردوس الإغريق. وكانت هناك مجموعة من الآلهة التي تشاركه إدارة شؤون العالم والناس. كان هناك أبوللو وشقيقته التوأم أرتيميس، أولاد زيوس وليتو. كان أبوللو يشرف على العديد من مراحل النشاط البشري. كان إله الزراعة، كان منزّل المطر والندى، كان مانع المرض والأوبئة، حامي القطعان والمراعي. كان يبعد الذئاب. كان يحمي الصغار والأطفال، وراعي الألعاب الرياضية. كان إله التنبؤ والنبوءات، كما أنه كان موسيقياً رائعاً. كان يسلّي الآلهة بموسيقاه التي يعزفها على قيثارته.

كان الصراع بين الآلهة وبين أقدارها المتغيّرة هي التفسير الوحيد للصراعات المبكّرة والأقدار المتغيّرة للبشر. فالانتصارات التي حقّقها الإغريق على أعدائهم كانت تنسب لانتصار آلهة معيّنة على آلهة أخرى. فظهور ظروف حياة اجتماعية جديدة وتغيّرها في اليونان، أو دخولها في عهد انتكاسات وأزمات، كان ينظر إليها بنفس الشكل. أرتيميس شقيقة أبوللو التوأم، أشبه ما تكون بأبوللو المؤنّث، كانت آلهة الصيد. هي شبيهة بديانا، إلهة الصيد عند الرومان. فعندما توسّعت الإمبراطورية الرومانية وابتلعت الحضارة اليونانية، أخذت معها آلهتها بأنواعها. صحيح أنه جرى تغيير لبعض أسماء الآلهة، ولبعض صفاتها.

لكن بشكلٍ عام كان الدين الروماني مُطَعّم بالدين اليوناني. كانت أرتيميس إلهة الزراعة، وبشكل خاص الحصاد، والتي احتفظ الإغريق بحصّة من أضاحيهم لها. كانت الأشجار والخضروات بشكل عام تحت سيطرتها، بالإضافة إلى إشرافها على الحيوانات البرية في الغابات. ثمّ هناك الإله أورفيوس، رجل مؤلّهة كان مسؤولاً عن الموسيقى.

والرجل المقدّس هو الذي كان أحد والديه من البشر والآخر من الآلهة. كان من المفروض أنّ أورفيوس هو ابن أوياغروس، ملك تراقية، وكاليوبي، إحدى العرّافات. يقال أنّ أبوللو قد أهداه قيثارة ذهبية. وقد علّمته العرّافات (إلهات الموسيقى) العزف على القيثارة، فأتقن العزف عليها لدرجة أنّ وحوش الغابة المحيطة بسفح جبل الأولمب وحيواناتها كانت تخرج من كهوفها وأوكارها وتلحق بالموسيقي، حتى أنّ الأشجار والحجارة كانت تترك أماكنها للحاق به، وكانت الجداول والأنهار تتوقف عن الجريان في مجاريها بفعل موسيقاه الساحرة.

آريس كان إله الحرب (وكان يعرف بمارس عند الرومان). كان يجد متعته في القتال والمعارك، لكنّ منافسته في التخطيط الحربي كانت الإلهة أثينا. طبعاً كان لآريس صفات أخرى، لقد كان الآلهة في بعض الأحيان يغيّرون وظائفهم ومهامّهم. كانوا يحصلون على مهام مختلفة في أوقات مختلفة وأماكن مختلفة.

أثينا (أو منيرفا كما كانت تعرف بين الرومان) كان إلهة المثقفين، آلهة الفكر، التعقّل، الفطنة السياسية، الزّعامة والقيادة... إلخ. كان الزعماء والقادة

السياسيون يقدّمون أضاحي في معبدها يصلّون لها ويمجّدون صفاتها ومواهبها.

فينوس كانت آلهة رومانية، كانت إلهة الحب والجمال (كانت تعرف باسم أفروديت عند الإغريق)، وكانت تمتلك القدرة على تغيير الفؤاد، الذي كان يُعتقد فيما مضى أنّه مركز المشاعر. كان قادرة على تحويل الكراهية إلى حب. كانت أفروديت يصحبها دائماً ابنها الصغير، إيروس، أو كيوبيدوس (كيوبيد)

كانت هيبه إلهة الجمال الأنثوي والنضارة والأنوثة. كانت تعرف عند الرومان باسم جوفينتاس. وكونها إلهة الشباب والنضارة كانت تمتلك القدرة على إرجاع المرأة العجوز إلى شابّة فتية في سنّ الصبا. بمعنى آخر كانت تمتلك القدرة على تجديد البشر.

كونكورديا كانت إلهة الوفاق والإلفة والوئام عند الرومان. كانت مسؤولة عن الخلافات بين البشر. كانت مسالمة جداً وتحمل في يدها غصناً من الزيتون.

أطلس، كان جباراً من الجبابرة الذين أعلنوا الحرب ضدّ زيوس. إلا أنّ زيوس قد هزمه وحكم عليه بحمل السماء على رأسه وكفّيه. لاحقاً تمّ تصويره وهو يحمل الأرض. وهناك أسطورة أخرى تروي أنّ زيوس قد حوّله إلى جبل أطلس، الذي يحمل السماء وكل ما فيها من نجوم.

نيسه (فيكتوريا عند الرومان) كان آلهة النصر. وكان يتمّ تمثيلها عادةً بفعل تسجيل المنتصرين لفتوحاتهم وانتصاراتهم على دروعهم، أو على ألواح. كانت ترى أحياناً وهي تقود جيادها بنشوة المنتصر.

شقيقها كان زيلوس، إله الحماس والاتّقاد والنشاط والقوّة.

فولكانوس، أو فولكان، كان إله النار عند الرومان، إله الفرن. كانت عملية الانصهار تحدث بفضل غضبه. كان يتمّ استرضاؤه عن طريق تقديم الأضاحي له. وكانت ترمي الأطايب والبخور في النار في مناسبات معيّنة كهدايا وأضحيات باسمه.

فيستا كانت آلهة البيت والموقد عند الرومان. وكان لها معبد تشتعل بداخله نارها الأبدية، وكان يزور المعبد عذراوات نقيات مثلها. إنها تمثّل التأثير المطهّر والنقي للنار.

هذه الأمثلة عن الآلهة والإلهات تبيّن لنا كيف أنّ الإغريق والرومان من أجل السيطرة على مختلف مراحل حياتهم الاجتماعية قد اخترعوا كائنات خيالية، شكّلوها على صورتهم الخاصّة وأسبغوها عليها صفاتهم وسماتهم، آمالهم وأحلامهم، مخاوفهم ومشاعرهم الخاصة.

الأولمب

كان الإغريق، كغيرهم من الشعوب الأخرى، يريدون أن يعودوا إلى الحياة مرةً أخرى بعد الموت. وسندرس الآن المكان الذي كانوا يريدون الذهاب إليه بعد موتهم وماذا كانوا يريدون أن يفعلوا.

إلا أنّ فكرة الحياة مرّةً أخرى بعد الموت، تذكّرني بقصّة رجل أيرلندي كان على وشك الموت. استدعوا له الكاهن فوجده يحدث ضجّة كثيرة وهو في طريقة لمغادرة هذه الحياة. فقال له الكاهن: «تشجّع يا بات، تشجّع يا

ولدي... فلن تموتَ سوى مرةً واحدة» فأجابه بات المحتضر: «الإيمان يا أبتي! إنّه الشيء الوحيد الذي يقلقني ويعذّب روحي. فأنا أرغب بالحياة والموت عدّة مرّات».

هنا نحن أمام حالة تعبير غريزية عن الرغبة في البقاء على قيد الحياة. جميع الناس لديهم هذه الرغبة في الحياة والإغريق لم يكونوا استثناء. بالتأكيد كان هناك من بين أكثر مثقفيهم وفلاسفتهم علماً ومعرفةً وحكمة من لم يكن يؤمن بالأمور الماورائية، ولا بالحياة بعد الموت. عندما كان يموت الإغريقي، فإنّه كان يرغب بالصعود إلى الأولمب والعيش بين آلهته، ولم يكن فردوسه مجرّد مدينة، ولا مجرّد أرض صيد سعيدة، أو قاعة احتفالات وولائم، إنّما أشبه بحلبة ألعاب رياضية. هذه الجنّة لم تكن سوى عبارة عن انعكاس عقلي لحياتهم المادية، حياتهم وشؤونهم الدنيوية.

كان هناك بستان كبير وشاسع في إليس، في القسم الشمالي من ألفيوس، حيث كان يجري الإغريق منافساتهم وألعابهم الرياضية. هذه الألعاب هي نفسها الألعاب الأولمبية التي كانوا يقيمونها كل أربع سنوات. أمّا الفترة الزمنية الفاصلة بين هذه الألعاب، فترة الأربع سنوات، كانت تسمّى بالأولمبياد.

كان الإغريق يعتقدون أنّ الآلهة كانت تراقبهم وتشاهدهم أثناء ممارسة ألعابهم الأولمبية من سباق القدم، إلى سباق الخيول والعربات، وأنّ الآلهة كانت تنحاز للمتسابقين وتشجّعهم وتفاضل بينهم. هكذا كان عالمهم الرائع. هكذا أرادوا أن يكون فردوسهم على هذا النحو، كمحبّتهم للطبيعة وللتمارين

الرياضية. كان يرغبون في العيش على جبل الأولمب إلى أبد الآبدين بصحبة آلهتهم، وكانوا يؤمنون بأنّ حيواناتهم الأليفة والمفضّلة ستكون هناك معهم، وأنّ سباقات العربات وغيرها من التمارين والألعاب الرياضية ستستمرّ في حياتهم المستقبلية.

طبعاً بعضهم آمن بوجود أكثر تعقيداً بعد الموت، لكنّ ما ناقشناه في الأعلى كان الاعتقاد العام والسائد.

وسّع الرومان إمبراطوريتهم وابتلعوا مع توسّعهم الإمبراطورية اليونانية. استولوا على فنون ومنجزات الحضارة الإغريقية كما أنّهم نقلوا أغلب أساطيرهم وميثاتهم. في بعض الحالات طوّر الرومان آلهتهم على أساس مفاهيم ومعتقدات إغريقية.

لكن مع الامتصاص التام والكامل للحضارة اليونانية، نجد أنّ الآلهة الرومانية، بأسمائها المختلفة، لها نفس الصفات والمهام التي تتميّز بها الآلهة الإغريقية، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ البيئة كانت نفسها بالنسبة إلى الحضارتين، بالإضافة إلى الترابط التاريخي والاجتماعي بينهما.

هناك شيء واحد أكيد وهو أنّ جميع هذه المفاهيم اللاهوتية والثيولوجية كانت نتاج البيئة والحياة الاجتماعية للإغريق والرومان. كانت هاتان الناحيتان انعكاساً "روحياً" لحياتهم المادية. فأساس أفكارهم ومعتقداتهم مثلهم مثل أي شعب آخر من الشعوب التي تستمدّ أفكارها ومعتقداتها من حياتها المادية، وقد تطوّرت بناءً على تقدّمهم المادي. وفهم هذه الحقيقة بالذات يشكّل مضمون المفهوم المادي للتاريخ.

المحمديون

ما كان يصحّ على الإغريق، الفايكينغ، أو الهنود الحمر، يصحّ أيضاً على الشعوب الآسيوية. حيث لعبت المدنية دوراً هاماً في حياة الناس، بالإضافة إلى أنّ التجارة (بيع وشراء المنتجات الثمينة) كانت شغلهم الأساسي، نلاحظ أنّ معتقداتهم الدينية تتوافق مع نمطهم المادي في العيش وكل ما يحيط بهم من طبيعة مادية.

دعونا ندرس حالة المحمديين (المسلمين). فجنّتهم عبارة عن مدينة. "فردوسهم" أشبه كما يكون بمدينة مكّة سماوية. وكثيراً ما يقول رجال الدين المحمديين للمؤمن الفقير أنّه لا ينبغي أن يشغله الفقر إذ أنّ الله سيعوّضه من كل ما هو محروم منه في الجنّة أضعافاً أضعاف.

فعندما يذهب إلى الجنة ستقابله هناك حور عين عذراوات. قد يكون لديه زوجة واحدة وجمل واحد في حياته على الأرض، لكنّه سيمتلك آلاف الزوجات وقطعان مؤلّفة من الجمال. سيؤمّن الله له في جنّته كافة الأشياء التي أحبّها ورغب بها على الأرض وسيعيش حياةً ملكية هناك، حياة لا تخلو من المتع والملذّات الشرقية.

المسيحيون

اليهودية: أساس المسيحية وخلفيتها. فقد بدأت كعبادة بسيطة لإله أبوي. القبائل الأبوية هي جماعات من الناس عادةً ما تكون منحدرة من خط دم

واحد، هذا الأصل أو المصدر هو زعيم القبيلة أو كبيرها، والمسيحية تؤمن بإله أبوي: الأب في السماء.

لنأخذ حالة إبراهيم على سبيل المثال، الأب الأول للشعوب، زعيم أو بطريرك لقبيلة أو جماعة، هو وعائلته، وجميع أولئك الذين يعتمدون عليهم عبدوا إبراهيم سماوي، أو بالأحرى يهوه. كانوا عبارة عن رعاة، وهمّهم الأساسي كان سلامة قطعانهم ومواشيهم. وكما كان الأب إبراهيم راعياً صالحاً، هكذا تصوّروا الأب السماوي كراعي صالح، يعتني بقطيعه البشري على الأرض.

خلال تلك الأيام كان الله يتنزّه مع إبراهيم ويتحدّث معه عن حاجاته وواجباته. كان إبراهيم بحاجة إلى الله في أعماله. كان جلّ ما يحتاجه هو الأرض التي يرعي عليها قطيعه، وطبعا لطرد قطعان الآخرين منها. نقرأ أنّ إبراهيم قد صعد جبلاً للتحدّث إلى الله. وعندما هبط من الجبل أخبر شعبه أنّ الله قد أعطاه كل الأرض على مدّ بصره من فوق قمّة الجبل وعلى امتداد الجهات الأربع... لقد وهبها الله له ولذريته من بعده إلى أبد الآبدين.

إذن حصل إبراهيم على حقه في الأرض من الأعلى. وكان ذلك الحق الوحيد في الأرض في زمن الإقطاعية الأوروبية. "الحق الإلهي" للملك وأتباعه الأرستقراطيين كان هو السلطة الوحيدة التي يملكونها لتقسيم أراضي أوروبا وتوزيعها بين بعضهم البعض.

وبنفس الشكل الذي تقبّل فيه عبيد إبراهيم ذلك التفسير كذلك فعل العباد المؤمنون بالخرافات في العصور الوسطى، وعندما كان يروي الكهنة

والقساوسة نفس النوع من القصص والأساطير على الجمهور المؤمن، كانوا هؤلاء بدورهم على أتمّ الاستعداد للخضوع لإرادة الله وخدمة الإقطاعي أو مالك الأرض الذي يحمل حقاً إلهياً فيها، وتفويضاً مباشراً من الله.

كان الفلاحون في بعض الأحيان يهدّدون بالثورة، وقد قاموا بذلك في عدّة مناسبات. فعندما كانوا يشتكون من طغيان أسيادهم الأرستقراطيين، ويهدّدون بحمل السلاح في وجوههم، كان الكهنة مستعدّين على أتمّ الاستعداد للإشارة إلى أنّ هذا التخطيط الاجتماعي هو من عند الله.

فالله هو من جعل الغني غنياً والفقير فقيراً، هو من عيّن الملك كما عيّن الخدم والعبيد. فهم قد حصلوا على أراضيهم وامتيازاتهم منه مباشرةً. حقوقهم كانت حقوقاً إلهية، أمّا التدخّل في هذا التخطيط الاجتماعي يعني التدخّل بالخطّة الإلهية وتحدّي إرادته على الأرض.

كان هذا النوع من الحجج يربك الفلاحين المؤمنين والبسطاء والسّذّج، فمن غير المقبول بالنسبة لهم أن يكونوا بهذه الدرجة من الكفر والزندقة ليتحدّوا إرادة الله ومشيئته. فإذا كان الله هو من خلقهم فقراء، وفي هذه المكانة المتدنية، فعليهم أن يتحمّلوا وضعهم هذا ويتقبّلوه بكل بساطة.

كانت الكنيسة تشير دائماً بأنّ معاناتهم ربّما تكون منزّلة من عند الله لاختبار إيمانهم، بل عليهم أن يكونوا مبتهجين وسعداء لأنّ هذا العالم ما هو إلا وادٍ من الدموع والألم، حجّ إلى الظلام يقودهم إلى عالم النور الذي يتجاوز هذا العالم. فإن كانت معاناتهم شديدة هنا، فستكون أخفّ في الحياة الأخرى. سيرون السعادة في الجنّة بالقرب من الله. وكل تلك الأمور والملذّات التي

حُرِموا منها على الأرض سيعوّضها الله لهم لاحقاً في الجنة. فسعادتهم ستبدأ في اللحظة التي تعقب وفاتهم. كان هذا هو الدور الأساسي للكنيسة فيما يتعلّق بعلاقتها بالفلاح، لكبح روحه الثورية بوعود خلّبية عن السعادة بعد الموت.

وعندما فشلت هذه الطريقة، كما كان يحدث عادةً، قام الأرستقراطيون _ويمباركة الكنيسة_ بإخماد ثورة الفلاحين "العُصاة" بالنار والسيف. لكن بالعودة إلى "بني إسرائيل" نجد أنهم لم يعودوا شعباً من البدو الرعاة، فلاّحي التراب، بل توسّعوا وتضخّموا ليصبحوا أمّة قوية، وغزوا القدس/ أورشليم وحرّروها من اليبوسيين، ثمّ مرّت ديانتهم بمنعطف تاريخي حاد. فبعد أن تحوّلت المدينة المفتوحة إلى مركز تجاري كبير وكانت فلسطين محكومة من قبل اليهود، انقسم الشعب إلى فئتين متمايزتين، الأغنياء والفقراء. فانقسم دينهم إلى طائفتين. إحداها أوّلت الديانة اليهودية من وجهة نظر الأغنياء والأخرى أوّلتها وفسّرتها من وجهة نظر الفقراء.

كانت أورشليم، منذ أيام الرومان، من أهمّ المدن في الإمبراطورية. وكانت خاضعة للجباة وجامعي الضرائب من الرومان وأساليبهم. وكان على شعبها أن "يعيدوا لقيصر ما لقيصر".

لقد حصّل الرومان الكثير من مستعمرتهم اليهودية، كما فعلوا مع غيرها من مستعمراتهم في الأقاليم الأخرى. لم تعد المراعاة الدينية للشعب اليهودي مجرّد عبادة بسيطة لإله راعٍ. بل لقد أظهر معبدهم العظيم بالإضافة إلى أغلب كهنتهم وحاخاماتهم مظاهر نظام اجتماعي أكثر تعقيداً. التبادل النقدي والمالي،

التعامل بالمعادن الثمينة ومختلف أنواع البضائع التجارية كان الشغل اليومي لقسم كبير ومعتبر من السكان.

إلا أنّ هناك من كانوا يعملون "جامعين للحطب وجالبين للماء". كانت هناك طبقة عبيد، مكوّنة أساساً من أسرى، خارجين عن القانون ومطاردين، كما هي الحال عبر مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية. كانت أورشليم مدينة غنيّة بشكل عام. ومخازنها كانت مليئة بالضائع والسلع الثمينة والغالية.

أورشليم الجديدة

إنّ البيئة التي عاش فيها الشعب اليهودي هي مصدر فكرتهم عن الحياة بعد الموت التي ستكون شبيهة تماماً بحياتهم على الأرض. فجنّتهم عبارة عن مدينة كبيرة، أورشليم السماوية. كانوا يؤمنون بأنّهم سيصعدون إلى السماء حيث البوّابة اللؤلؤية عبر سلّم ذهبي، ويسيرون على شوارع وطرقات من الذهب الخالص.

في البداية سيمثلون أمام مجلس سماوي للمحاكمة، تماماً كما كانت حالهم على الأرض. فهم لم يأتوا بأفكارهم عن السماء والجنّة من خارج بيئتهم المادية. لقد قاموا ببساطة بأخذ نموذج أورشليم كما هي على الأرض وإسقاطها على السماء.

لقد تحوّل الله من راعي قديم إلى قاضي حاكم، أشبه ما يكون بالقاضي سليمان، لكنه من نوع سماوي. وهكذا فالمسيحية، في حين أنّ جذورها تمتدّ عميقاً في ميثولوجيا الشعب اليهودي، هي نتاج أوروبا. فقد نشأت وترعرعت

في قلب الإمبراطورية الرومانية، وفي مدينة روما بالتحديد. ويمكننا العثور على الظروف المادية التي أسّست لظهور المسيحية خلال مرحلة انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها.

لقد أصبح عمل العبيد وفيراً جداً لدرجة أنّه أجبر الرومانيين الأحرار من الطبقة العاملة على ترك أعمالهم والتنحّي جانباً. فقد استولى العبيد على عقاراتهم. لذلك أصبح الرومان الفقراء في المدن الكبرى من دون عمل. حتى أنّه قد تمّ تحرير العديد من العبيد لانعدام الحاجة إليهم. كانت الدولة هي المسؤولة عن إطعام هذه الكتلة من العمال العاطلين. أمّا الدعاية الجديدة: المسيحية، التي أخبرتهم أنّ "العبد صالحٌ كسيّده"، قد لاقت الكثير من الإعجاب عند طبقة العبيد والجماهير العاطلة عن العمل. هذه كانت ديانتهم، الديانة التي تقول: «طوبى للفقراء، فمملكتهم في السماء». وقالت للطبقة العمّال العاطلون والمتضوّرون جوعاً «طوبى للجوعى الآن، ستشبعون». ولكبح العبد قالت له: «طوبى للذين يبكون الآن، فهم سيضحكون أخيراً».

فالجنّة هي مكان للفقراء، وليس للأغنياء الجبابرة والطغاة. لقد بشّرت المسيحية: «حقاً أقول لكم: أنّ الغنيّ لن يدخل الجنّة، فمن الأيسر أن يمرّ جمل من سمّ الإبرة، على أن يدخل غنيٌّ مملكة الرب».

سمع العبيد المحرّرون والبروليتاريون العاطلون في المدن الكبرى لهذه الدعاية من الدّعاة المبشّرين المسيحيين. لم يكن لديهم أي أمل هنا على الأرض. فالطبقة البروليتارية في تلك الأيام لم تكن مساهمة في عملية الإنتاج. لم يكونوا يشاركون في الأعمال. فأماكنهم ملأها عمال من طبقة العبيد. لم يعودوا

يملكون شيئاً في هذه الحياة. بينما طبقة البروليتاريين، طبقة العمّال المأجورين، هي من تملك مفاتيح المستقبل بأيديها. فطبقتنا [البروليتاريا] هي التي تواصل عملية الإنتاج. من تنظيف الأرضيات في المعامل الحديثة، إلى أعلى مدير تنفيذي فيه، الصناعة الآن مستمرة وقائمة بفضل العاملين غير المالكين، البروليتاريين، الأيدي العاملة المأجورة. بينما البروليتاريين الرومان كانوا مستبعدين تماماً عن عملية الإنتاج. لم تكن هناك آلات في تلك الأيام، باستثناء الآلة البشرية: العبيد.

كانت المسيحية، في بدايتها، ديانة للعبيد حصرياً. ومع مرور الوقت، قد أحكمت قبضتها على الجماهير وعامة الناس لدرجة لم تعد معها الطبقة الحاكمة قادرة على تجاهلها. حاولوا إخمادها بالنار والسيف، لكنّ كل محاولاتهم باءت بالفشل. كان الجوّ مناسباً لها. نضجت الظروف الاجتماعية وباتت جاهزة. لم يكن هناك نظام اجتماعي أعلى سيظهر للعيان خارجاً من العبودية الرومانية، كما لا يظهر أي شيء اليوم من عبودية الأجر. لم يكن أمام العمّال أي أمل على الأرض، بل كان هناك وعد بالسعادة فيما وراء القبر.

كانت الإمبراطورية الرومانية بكاملها تموت وتتداعى. لقد اندثرت من الوجود بالكامل. لقد قام أحد الأباطرة _قسطنطين_ بما كان محتوماً. لقد اعتنق المسيحية. وتحوّلت بذلك المسيحية إلى دين رسمي، دين للسادة، وبقيت كذلك منذ ذلك الوقت.

الإقطاعية

عندما اجتاحت قطعان البرابرة جميع أقاليم الإمبراطورية كانوا يعبدون آلهة قبلية من عدّة أنواع مختلفة، كانت تمثّل عادةً حياتهم الرعوية، أو عناصر الطبيعة التي جعلهم أسلوب حياتهم قريبين منها وعلى احتكاك دائم بها.

وسبق لنا أن فسّرنا هذا الانعكاس العقلي كما جرى التعبير عنه في الميثولوجيا الألمانية والاسكندنافية. عندما كان هناك نظام اجتماعي جديد قد بدأ بالظهور من القبائل الاشتراكية الحرة في أوروبا، نظام يقوم على ملكية الأراضي واستعباد الذين لا يملكون الأرض، أحرز المسيحيون خطوة نحو الأمام. فالشعوب البربرية في أوروبا الشرقية والشمالية قد اعتنقت الديانة المسيحية، وقد فرضت عليهم على الأرجح بحدّ السيف على أيدي حكّامهم.

طبعاً، كأي دين من الأديان الأخرى، مرّت المسيحية بمنعطفات تغييرية لتتناسب مع البيئة المحيطة والمتغيّرة. هذا النظام الاجتماعي الجديد، القائم على ملكية الأرض، والمقسّم بحدّة لعدّة طبقات متمايزة، كان النظام الإقطاعي Feudalism. وقد انتشر في جميع أرجاء أوروبا مع مرور الزمن. لقد استعبد رجال القبيلة الأحرار سابقاً وجعلهم مجرّد عباد. وأصبح زعماء القبائل وأقاربهم المباشرين هم الأرستقراطية الجديدة. وعلى رأس كل دولة إقطاعية كان هناك ملك. أمّا الله فكان ملكاً سماوياً.

بعد الملك يأتي اللوردات الذين احتكروا الأراضي وقسّموها بين أنفسهم إلى إقطاعيات حكموها بالقوة والسوط. الراعي الصالح، يسوع اللطيف، الأخ الصغير للفقراء، لم يعد موجوداً، بل رُفِع إلى مرتبة أرستقراطي. لقد

أصبح "سيّدنا Our Lord". لم يكن عبداً أو فلاّحاً يقتدى به وبأفعاله وتعاليمه، بل أصبح سيداً.

أوّلت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الديانة المسيحية من أجل أوروبا بكاملها. لم يكن بوسع الأرستقراطيين لا القراءة ولا الكتابة. لم يكن هناك أي "تعليم" خارج الكنيسة. ولكن... مع ظهور وتطوّر طبقة جديدة ضمن النظام الإقطاعي _طبقة التجّار_ بدأت المعرفة بإحراز خطوات تقدّمية صغيرة خارج الدوائر الإكليروسية.

وظهر عصر النهضة من الحاجة إلى وجود طبقة التجار. صارعت الكنيسة وبقسوة ضدّ تقدّم المعرفة. وكانت المحاكمات، والحرق على الوتد، ومحاكم التفتيش أساليب لجأت إليها الكنيسة لمقاومة الترياق الشافي من فكرة احتكارهم "للحقيقة".

الإصلاح

كانت البروتستانتية السّمة التي انطلت في النهاية على المذاهب التي جرى إدخال الإصلاح عليها في المسيحية. كان البروتستانت معارضين ضدّ الاحتكار الروماني، وزعم الرومان أنّهم الوحيدون القادرين على تفسير الكتاب المقدّس. لم يكن في نيّتهم إقصاء الكنيسة الكاثوليكية، بل كانوا يريدون إصلاحها بما يتوافق مع مصلحتهم. لكنّ الكنيسة كان من المتعذّر إصلاحها، إذ أنّها كانت مصرّة على أنّ الطبقة الحاكمة القديمة، طبقة الأرستقراطيين، بالإضافة إلى الكنيسة نفسها، هم الوحيدون الذين يمتلكون

امتيازات. لذلك، ظهرت كنيسة مسيحية جديدة ونمت وازدهرت بالقرب من الكنيسة القديمة.

ما هو التفسير التاريخي للبروتستانتية؟... كان البروتستانتية نتاجاً طبيعياً لصراع طبقي جديد أخذ بالتطور في أوروبا. طبقة التجّار الجديدة، البائعين، والصُنّاع، كانوا في أغلبهم من سكّان المدينة. تطوّرت البلدات وازداد عددها، في حين أنّها في أيام الإقطاع كانت معدودة، ولا يتجاوز عددها عدّة مدن.

نال المواطنون، بعد صراع طويل، معياراً للحرية، لكنّ كانوا يريدون أكثر من ذلك. خارج البلدات، في الأمم بشكل عام، اشتدّت قبضة الملوك والأرستقراطيين. فرضوا ضرائب ثقيلة على المواطنين، الذين لم يعودوا عبيداً وخدماً لهم بل أصبحوا مواطنين، وحكموهم بقبضة حديدية.

كان مواطنو البلدات منجين صناعيين من الطراز الأول. وكانت الثروة تتضخّم وتزيد بفضل جهودهم وإنتاجهم. لم يكن الأرستقراطيون منتجين، وكانوا يمقتون العمل، إلا أنهم كانوا المستفيدين الأوائل من عملية إنتاج هذه الطبقة الجديدة. لقد حصدوا ثمار العملية الإنتاجية لهذه الطبقة الكادحة عن طريق فرض الضرائب والأتاوى وكل طريقة ممكنة كانوا يتعاملون فيها مع خدمهم وعبيدهم. اشتكت هذه الطبقة الجديدة _الرأسماليين الأوائل، مليونيرية الزمن الحالي_ إلى الكنيسة.

إلا أنّ تلك المؤسسة _التي تمتدّ جذورها الاقتصادية في ملكية الأراضي_ التي تعتبر من أكبر المؤسسات الأرستقراطية في تلك الفترة، كانت تمتلك حوالي ثلث أراضي أوروبا، فانحازت إلى جانب الملوك والأرستقراطيين ضدّ

طبقة الرأسمالية الصاعدة. قالوا لهم بأنّ الملوك يستحيل أن يخطئوا أو يذنبوا، وأنّهم كانوا جزءاً من الخطّة الإلهية لتعيينهم ملوكاً على الناس، وأنّ الأرستقراطيون يتمتّعون بحقوق لحكمهم يستمدّونها من الله العليّ مباشرةً. هكذا كان جواب الكنيسة، وكان نهائياً. ولم تكن تسمح بأيّة نقاش أو جدال. ليس بوسع الرأسماليين سوى تحمّل معاناتهم وما كتبه الله لهم.

لقد كان التنظيم الاجتماعي في ذلك العصر إلهياً. كل شيء كان حسب إرادة الله ومشيئته. إلا أنّ المواطنين، بعد أن تعلّموا القراءة والكتابة، قد بدأوا في البحث عن "أصل جميع الحكم" بأنفسهم. فوجدوا الكثير في الكتاب المقدّس، وبشكل خاص العهد القديم، لتبرير نظرتهم الاجتماعية. بدأوا بالتبشير ضدّ الحكم الملكي المطلق، وضدّ فكرة عصمة الملك. وقد أدّى بهم ذلك إلى التشكيك بعصمة البابا نفسه. أمّا جواب الكنيسة على ذلك فكان القمع والاضطهاد، محاكم التفتيش والموت لجميع من الكهنة والقساوسة الذين انتهكوا عهودها.

كان للبروتستانتية تاريخاً طويلاً من التضحية والشهداء. لكن في النهاية حان عهد النصر بالنسبة لها. كان الإصلاح اللوثري في ألمانيا يمثّل انتصار الطبقة الجديدة. لقد تمثّل في تكيّف المسيحية مع الظروف والحاجات الاقتصادية للطبقة البرجوازية. كانت البروتستانتية في بداية عهدها مجرّد كاثوليكية معدّلة. إلا أنّ الفلاحين، ذوي الاحتياجات الاقتصادية المختلفة وفي بيئة مختلفة تماماً، قد طوّروا خلال عهد الإصلاح مذهب بروتستانتي أكثر

تشدّداً. فلم يكتفوا بالاعتراض ضدّ الكنيسة ومُلاّك الأراضي فقط، بل ثاروا ضدّ احتكار أي نوع من الملكيات. لقد نادوا بمشاركتها والتشارك بها.

تمّ سحق المذهب القائل بتجديد العماد Anabaptism وأنصار كنيسته بقيادة توماس منزر وغيره في زمن لوثر، من قبل الرأسماليين ومُلاّك الأراضي، هاتان الطبقتان صارعتا لمحاربة الخطر المشترك الذي يهدّد بحرمانهما من امتيازاتهما. إلا أنّ عملية التطوّر الاجتماعية مستمرة على قدمٍ وساق. فقد تطوّر المذهب اللوثري مع تطوّر النظام الرأسمالي حتى أصبح يعبّر عن الحاجات الاجتماعية للرأسمالية في مراحلها المتقدّمة.

في بريطانيا، كان الإصلاح عبارة عن كفاح استنزاف طويل الأمد. وأكثر المراحل شهرةً خلاله كانت الحرب الأهلية الإنكليزية. فقد تمكّن أوليفر كرومويل وأشقّاءه البروتستانتيين من القضاء على السلطة المطلقة للملك تشارلز الأول والإطاحة بالأرستقراطيين الأسقفيين والكاثوليك القساة. لقد قطع رأس الملك على المقصلة بالإضافة إلى سقوط الكثير من الأرستقراطيين في أرض المعركة.

كان الإصلاح _ مع أنّه كان يرتدي عباءة دينية _ يمثّل صراعاً طبقياً شرساً. وقد تمّ خوضه من أجل مصالح مادية. وعند انتصاره، انطلقت يد الرأسمالية، وكان على الأرستقراطيين احتلال مكانة ثانوية، أو يتمّ القضاء عليهم نهائياً كطبقة. وهكذا كان مصيرهم بالضبط خلال الثورة الفرنسية.

البروتستانتية هي الشكل الذي تأخذه المسيحية لنفسها تحت ظلّ الرأسمالية. فهي تفيد في إضفاء صبغة قداسة على السرقات التي يقوم بها

العبيد المأجورين. عبودية المتاع أمر محتقر وبعيد عن المسيحية، والقنانة على نفس النمط، أمّا عبودية الأجر فلا بأس بها. إنّ البروتستانتية، وبشكل عام الديانة المسيحية، تتناسب بشكل جيد مع النظام الاجتماعي الحالي. فهي تعدُ العامل بالسعادة بعد الموت. وهذا ما يجعله قانعاً بنصيبه الحالي في الحياة.

المذهب البروتستانتي أكثر تعقيداً، وأقلّ دوغمائيةً، ويناسب أكثر كأمل جديد للعمّال في زمننا الحالي. طبعاً لقد مرّ المذهب عبر عملية تطورية طويلة الأمد، ولابدّ أنّ معظم مفاهيمه وأوجهه "الدوغمائية" الحالية قد اعتُبِرت من قبل المستعمرين المسيحيين، "آبائنا الحجّاج"، على أنّها من عمل الشيطان.

العمال الذين ظلّوا متديّنين

بعض العمال بقوا على درجة عالية من التديّن. إنّهم يعتقدون أنّ الحلّ النهائي لمشاكل العالم يكمن في اهتداء الجماهير إلى المسيحية. ومن غير المناسب السخرية من أولئك العمال واحتقارهم. فاللوم لا يقع عليهم كونهم متديّنون. هم مخلصون جداً في معظم الأحيان. وموقفنا تجاههم يجب أن يكون من قبيل الشفقة والتعاطف، ويجب بذل الجهود لإنقاذهم من نير معتقداتهم البدائية.

وأفضل طريقة لإنقاذ العمّال وإبعادهم عن الخرافات هي في منحهم المعرفة، معرفة حقيقية. فعندما تدخل المعرفة إلى العقل، تخرج المعتقدات الخرافية هاربة. والعلم هو أفضل دواء ضدّ الخرافة والجهل. فهو قائم على الحقائق والوقائع، وليس على الإيمان والتسليم. إنّه على النقيض من الدين الذي لا يحتاج لأيّة حقائق، بل يكفيه الإيمان الأعمى والتسليم. على الإنسان

العلمي أن يكون مثقفاً ويعرف الكثير من الأمور. أمّا الإنسان المتديّن فليس من الضروري أن يمتلك أي معرفة أو ثقافة مهما كانت. ومع ذلك من غير الصحيح شنّ هجوم على العمّال لأنّهم وقعوا ضحايا بين براثن الدين.

في زمنٍ مضى كان يتمّ ضرب الأشخاص المجانين بالسوط. وكان يعتقد أنّ هذا العلاج فعّال. وهؤلاء المشرفون على هذا النمط من العلاج كانوا أناساً خرافيين، وكانوا يعتقدون أنّ الجنون كان نتيجة غزو أرواح شريرة للجسد البشري. وكانوا يلجأون للضرب بالسياط لإخراج هذه الشياطين والأرواح الشريرة وعلاج المريض.

نحن الآن لا نعالج المرضى العقليين بهذا الأسلوب. نحن نعلم الآن أنّ المرض العقلي أو الجنون ما هو إلا حالة من حالات العقل ومن الممكن علاجها بوسائل عديدة وعن طريق أدوية مناسبة، لكن بالتأكيد ليس بالضرب بالسوط.

الدين أيضاً هو حالة من حالات العقل، لكنه في معظم الأحيان ليس حالة مرضية، باستثناء حالات معينة. فإذا كان العمال متديّنون فذلك يعود إلى تربيتهم ونشأتهم، إنهم ببساطة لا يعرفون شيئاً آخر غير ذلك. ما هم بحاجة إليه هو وجود معرفة حقيقية عن العالم من حولهم. العمّال المتدينون غير منتظمين كجهاز للحكم. ونادرا ما ينشطون ضمن حركة العمل. وهذا لا يعود إلى كرههم لزملائهم في العمل، بل لأنهم يعتقدون/ يؤمنون أنّ الـ"فيما بعد" أفضل من الـ "هنا الآن".

لقد جرى تعليم أولئك العمّال [برمجتهم] بأن يكونوا شاكرين وممتنّين بغضّ النظر عن ظروفهم وأحوالهم المادية. بهذا الشكل، سيغدو الدين أفضل وسيلة في يد الاستغلاليين ومستغلّي العمل. وهذا من أحد الأسباب الرئيسية في كون الرأسماليين ليبراليون جداً في التعامل مع أموالهم من أجل عمل الكنيسة. فلم تسمع عنهم أنهم يمنحون أموالهم أمكنة للعمل.

أمّا الدين، في حين أنّه يساعد الطبقة الموظِّفة، فإنه يدمّر طبقة العمّال. لهذا السبب بالضبط نسعى لإخراجه من عقول العمال، لأنّه يقف حجر عثرة في طريق تحرّرهم واستقلالهم الاقتصادي.

الطبقة العاملة الملحدة

في حين أنّ الطبقة الرأسمالية بذاتها عاجزة عن التخلّص من قيود الجهل والخرافة، إلا أنّ طبقة العمّال قادرة. طبعاً، هنالك العديد من الرأسماليين المتحرّرين من الخرافة، إلا أنّ السواد الأعظم منهم لا يستطيعون التحرّر منها بسبب نمط حياتهم. أمّا الأفراد الأكثر تقدّماً وثقافةً من تلك الطبقة غالباً ما يحرّرون أنفسهم من الطقوسية ويتبنّون موقفاً أكثر "سعةً وتسامحاً" فيما يتعلّق بالمسائل الدينية، لكن عندما يسألون ما إذا كانوا يؤمنون بإله غالباً ما يكون جوابهم بنعم. وعندما تطلب من تحديد مواصفات أو سمات إلههم، فإنّهم سيعطونك أكثر الأجوبة غموضاً وضبابيةً. وغالباً ما تتحوّل الأجوبة إلى تصريحات غريبة على نحو:

«هناك شيء ما، في مكان ما، موجود بشكل ما، هو علّة الوجود»...

وهذا الكلام هو الخطوة الأخيرة خلال الانحدار إلى مستنقع الخرافة.

أغلب الناس لا يقدرون على تخليص أنفسهم من هذا "الإله" الضبابي. ملايين العمّال بلغوا تلك المرحلة. وباستطاعتهم المضيّ لأبعد من ذلك، لأنّهم يفتقرون للفهم العميق للأصل المادي للدين وعملية تطوّره الاجتماعي. والقسم الأكثر تقدّما ضمن طبقة العمّال، هؤلاء الذين يتقدّمون على زملائهم، الذين نفضوا عن أنفسهم غبار الجهل وخلعوا عباءة الخرافة نهائياً. وأفضل سبيل للوصول إلى هذه الغاية يمرّ عبر المعرفة العلمية _الرأسماليون بإمكانهم سلوك تلك الدرب أيضاً_ وهو موجود ضمن نمط حياة طبقة العمال.

نحن دائماً نقابل عمالاً بعيدين كل البعد عن الثقافة أو المعرفة، لكن فيما يخصّ الدين، فإنّهم لديهم قناعة بأنّه مجرّد «ترّهات». وإذا سألتهم كيف توصّلوا إلى استنتاجاتهم اللادينية، تراهم لا يستطيعون ذلك، لكنّهم متأكّدون أنّ الدين مجرّد تفاهة. إنّهم يمقتون أولئك الذين يعظون ويتظاهرون بممارسة المسيحية والالتزام بتعاليمها. قد يقبلون "الحسنة" عندما يكونون جائعين، لكنهم يحتقرون الشيء نفسه بالإضافة إلى تجّار الحسنات الذين يتطفّلون ويتدخّلون بشؤونهم المتواضعة.

قد يقوم الرأسمالي بفعل الصلاة، ويقول: «أعطِنا خبزنا كفاف يومنا»، لكن كما قال بول لافارغ بذكاء: «ولا تعطِنا عملاً». إلا أنّ العامل الحديث لا يؤمن بالصلاة من أجل الخبز. إنّه يعلم حق العلم أنّه إذا لم يعمل فإنّه لن يأكل، بل

سيتضوّر جوعاً، أو يلجأ للتسوّل أو السرقة. إنه لا يؤمن بضربات الحظ. لا ينتظر أقارب أثرياء له ليموتوا ويتركوا له ثروة طائلة.

ارتفاع سوق الأسهم أو انخفاضه لا يعني له شيئاً. كما أنّه لا ينتظر استجابة آلهة غامضة لصلواته. لقد علّمته تجربته في الحياة أنّه لكي يأكل هو وعائلته، فعليه العمل من أجله وأجلهم واستحقاق خبزهم اليومي عن طريق جهوده العقلية والجسدية. إذن نلاحظ أنّ أسلوب العامل في الحصول على خبزه اليومي مختلف تماماً عن أسلوب الرأسمالي. قد يكون الأخير يحصد ملايين الدولارات وهو يلعب الغولف أو يبحر في البحر على متن يخته... (فإلهه صالح بالنسبة له). أمّا العامل على احتكاك متواصل مع العجلات الشحمية للآلة في موقع مختلف تماماً. إذ عليه التخلّي عن ساعات طويلة من طاقة حياته القصيرة كل يوم في سبيل الحصول على بضعة دولارات بائسة، لكنها ضرورية من أجل استمرار حياته وحياة عائلته.

العمّال الحاليون مختلفون عن عبيد الأرض في الماضي. الفلاح أو العبد الذي كان يعمل في الحقول، على احتكاك بالطبيعة، لكنّه جاهل تماماً بعوامل الطبيعة وطريقة سيرها، كان من المحتّم أن يكون مؤمناً بالخرافات. كان أمياً. وكان يؤمن بأشياء وأمور سيضحك منها العامل الحالي. فإذا نفقت بقرته أو حصانه، كان يقول: «هذه إرادة الله ومشيئته». وكان سيظنّ أنّ ذلك عقاب من الله على ذنوبه ومعاصيه. وكان يهرع إلى الصليب أو الماء المقدّس. والعامل داخل المصنع الحديث لديه خبرة مماثلة. فعندما تتوقف آلته عن العمل. لكنّ العامل لا ينسب ذلك لأسباب ماورائية غير طبيعية. إنّه لا

يؤمن بأنّ الله له علاقة بذلك. كما أنّه لا يهرع إلى الصليب أو الماء المقدّس، بل نحو علبة الزيت ومفتاح الربط.

إنه مادي بالممارسة. فهو ينطلق عادةً من السبب إلى النتيجة. وعندما يدخل المصنع، فإنه يخلع عنه جميع مخاوفه والأمور التي تقلقه ويتركها عند الباب. فإذا لم يتصرّف كمادي، فإنّه سيخسر إصبعه أو يده، أو ربّما حياته. إنّه يراقب باستمرار الأسباب الطبيعية ويفكّر فيها مطوّلاً، إنّه في الواقع ليس لديه وقتاً لأي شيء آخر.

وعندما يخرج العامل من المصنع، فإنّه يظلّ في بيئة ميكانيكية آلية تتفاوت درجتها حسب البيئة. فهو يرى السيارات والدراجات تسير في كل مكان من حوله. قد يصل إلى منزله بالقطار السريع. إنّه يستخدم الهاتف، ويستمع إلى الراديو، إلى الصوت الخارج منهما من على بعد مئات وآلاف الأميال، محمولاً إليه عبر الأثير. يمكنه إطفاء الأشياء وإعادة تشغيلها بكبسة زر. كل ما يفعله أو يتعامل معه يوازي، أو حتى يتجاوز "المعجزات" التي وصفها الكتاب المقدس.

إنّه يعلم ما يمكن فعله وما لا يمكن فعله. إنّه يشكّ بل لا يؤمن على الإطلاق بقيامة الموتى. فهذا لا يحدث في هذه الأيام. بل إنّه يضعها بجانب قصص الجنّيات، العفاريت، جاك قاتل العمالقة، وسانتا كلوز. في حين أنّ البيئة التي يعيش ضمنها العامل تزيل الخرافات من رأسه وتساعده على البحث عن سعادته في هذا العالم، وليس في أي عالم ما بعد القبر، إلا أنّها لا تزيل من عقله _وبشكل كلّي_ فكرة أنّ النظام الاجتماعي الحالّي بأحسن ما

يرام. بل إنّه عبارة عن تجربة أخرى من النوع المادي سيكون لها دور كبير في تنويره اجتماعياً. إنّها تجربته الاقتصادية.

يثبت العامل المفكّر اليوم أنّه ينتج هو وأقرانه ثروة أكثر من الجيل الماضي من العمّال. فالوحوش الميكانيكية العظيمة التي صنعها هو وأصحابه تطحن المواد الخام وتحوّلها إلى منتوجات صناعية بسرعة قياسية.

ومع ذلك، وبغضّ النظر عن الأشياء الكثيرة والجميلة التي ينتجها بكميات هائلة، إلا أنّه يجد نفسه غالباً محروماً من أساسيات الحياة. إذ يتمّ طرده من عمله من حينٍ لآخر. وكثيراً ما يجد نفسه عاطلاً عن العمل، وفي كل مرة يفقد فيها احد أصدقاءه ورفاقه في العمل. إنّه يرى الملايين عاطلون عن العمل ولعدّة أشهر. إنه يعرف أنّ في العديد من بلدان العالم هناك ملايين العاطلين عن العمل وبشكل دائم، يتوقون للعمل لكنّهم لا يجدون فرصة. إنّه يلاحظ أيضاً أنّ الرأسماليين، ملاّك الصناعات، لا يملكون الخبرة والتجربة ذاتها، بل إنّها مختلفة عن تجربتهم وخبرتهم. بل إنّ الثروة تغمرهم هم وعائلاتهم. إنّه يراهم وهم ينفقون ثرواتهم على الرفاهية والأبهة أكثر ممّا يكسب هو في عام واحد. ومن هذه البيئة المادية التي يعيش فيها، من هذه التجربة الاقتصادية، يتعلّم العمّال أنّ النظام الاجتماعي الحالي، بقدر ما يتعلّق الأمر بهم، هو نتاج الترس والعجلة.

البروليتارية الثورية

عندما وقف المزارع في الماضي وجهاً لوجه مع ظروفه ومشاكله الاجتماعية، عندما شعر بثقل سياطه أسياده ولسعات الجوع ببطنه، كان يواسي نفسه بالاعتقاد أنّ أوقاته السعيدة بانتظاره في مكان ما وفي زمانٍ ما بعد موته.

لكنّ العامل الحالي، الذي لا يؤمن بالحياة بعد الموت ولا بالسعادة ما وراء القبر، يوجّه انتباهه لإيجاد حلول لمشاكله هنا على الأرض. إنّه يرى حوله طبقة طفيلية عاطلة، تتمثّل في بعض الأحيان في الجيل الثالث أو الرابع من العائلات الرأسمالية الثرية، أي الذين لم يشاركوا بأيّ عملية إنتاج من أي نوع. كما أنّه يرى الطبقة المعدومة التي لا تملك شيئاً، الطبقة التي ينتمي إليها هو نفسه، تقوم بكل الأعمال المفيدة والمثمرة والمنتجة.

إنّه يدرك أكثر فأكثر أنّ البروليتاريون، طبقة العمّال المأجورين، هي التي تدير عجلة الإنتاج، وأنّها هي التي تحمل على كاهلها العملية الإنتاجية من الأعلى إلى الأسفل.

التنظيم والتحرّر

منذ حوالي جيل مضى، كان بإمكان عدد معيّن من العمّال ترك عملهم والبدء بعمل خاص بهم. لكنّ تلك الأيام قد ولّت مرةً وإلى الأبد وقد استفاق العمّال لهذه الحقيقية. لقد تضخّمت الصناعات اليوم وباتت تحتاج لرأس مال ضخم لتشغيلها. فقد ولّت أيام ورشات العمل الصغيرة، والمحال الصناعية

والحرفية. فحقل العمل الصغير، والتجارة المفردة، والحرف الصغيرة، جميعها قد ابتلعها المخزن الكبير وتقدّم نظام المخزن الضخم وفروعه المتعدّدة.

من هذه البيئة المادية انبثق الفكر بالنسبة للفئة المتقدّمة من الطبقة العاملة، فليس هناك مهرب من عبودية الأجر بالنسبة لهم ولأحفادهم من بعدهم. لقد بدأوا يدركون أنّه لا يوجد حل نهائي لمشاكلهم، وأنّهم عاجزون كأفراد بمفردهم، وليس أمامهم سوى عبودية الأجر كسبيل للحياة، وأنّهم يعملون ليل نهار لتتراكم الملايين عند طبقات غير نافعة، طبقات ليس لها أي دور اجتماعي سوى أن تجمع الفوائد والأرباح، وتحصد أتعاب العمّال.

وعندما يدرك العامل أنّ مشكلته لا يمكن حلّها بالعمل الفردي وحده، فإنّه يتوجّه للعمل الجماعي، أو التنظيم. إنّه يرى أنّ عجلات التقدّم الاجتماعي لا يمكن إدارتها إلى الوراء، وأنّ الصناعات الكبرى لا يمكن تقسيمها إلى صناعات أصغر، وورشات عمل صغيرة. فالتملّك الجماعي لوسائل الإنتاج هو الحل الوحيد لمشكلته: فالمطاحن، المناجم، والمعامل يجب أن تسيطر عليها الجماعة، المجتمع. الإنتاج الجماعي، أو إخراج كميات هائلة من البضائع والسلع المعيارية على يد جيوش عظيمة من العمّال المنتجين، هو الأساس المادي والاقتصادي للفكر الشيوعي.

التملّك الجماعي من قبل المجتمع ككل هو السبيل الوحيد والممكن للتخلّص من نير العبودية الحالية. لقد أغلق المخرج الواسع للهروب الفردي. ولا يوجد سبيل للتخلّص من نير العبودية واحتكار الطبقة الطفيلية سوى العمل الجماعي للطبقة العاملة، عندها _وعندها فقط_ ستتخلّص طبقة العمّال

من الفقر والجوع مرة وإلى الأبد. كل عامل ذكي يعرف تمام المعرفة أنّه إذا كان هناك فقر فإنّه ليس ناتجٌ عن النقص والندرة، بل على العكس، من فائض الإنتاج. ليس هناك أي خلل في عملية الإنتاج، بل تسير على أحسن ما يرام. بل الخلل يتمثّل في اختلاس الإنتاج وسرقته. ولا يمكن سوى للعمّال ذوي الفهم الصحيح والواضح لعالمهم الاقتصادي والمادي الذي يعيشون فيه أن يحلّوا هذه المشكلة القديمة قدم الزمن نفسه. وقد باتت أدوات الإنتاج ووسائله الآن في متناول أيدي العمّال.

وأوّل خطوة تتمثّل في السيطرة على السلطة السياسية وتأسيس حكومة بروليتارية. أمّا الخطوة الثانية فتتمثّل في تأميم كافة الصناعات. هناك الكثير من العقبات التي تواجه الطبقة العاملة أثناء كفاحها للوصول إلى هدفها، ليس أقلّها حالتهم العقلية. يقول كارل ماركس «إنّ عبء تراث جميع الأجيال السابقة مثل جبال الألب على عقول الأجيال الحية».

وهذا هو عين الحقيقة للأسف بالنسبة للطبقة العاملة. فما زال العمّال مثقلون بالكثير من التقاليد والتراث. مازالوا يحملون الكثير من المعتقدات الدينية التي تنتمي إلى الماضي، معتقدات وأفكار خرجت من قلب الظروف والأحوال الاقتصادية والمادية التي عفا عليها الزمن. وهذا مردّه طبعاً إلى التلقين الذي تلقّوه على يد طبقة الأسياد، التي يسمّى التعليم. لكنّ البيئة المادية والظروف الاقتصادية المتغيّرة، التي أخرجت أشكال دينية جديدة للطبقات السابقة، لن تأتي بأي نموذج ديني جديد للطبقة الحالية. فالوعد بسعادة أبدية بعد الموت كتعويض عن الفقر والمعاناة في الوقت الحالي يقابلها

البروليتاريون الجدد بحركة سياسية جديدة، وليس بدين جديد، حركة سياسية بوسع العالم بمنظورها، وبهدف حالي، الآن وهنا، وليس في حياة أخرى هناك. هذه الحركة اللادينية، بأسسها الاقتصادية والمادية، وأهدافها الاقتصادية والسياسية، هي الأمل الوحيد والأخير لعمّال العالم. وشعارها الأساسي والأول هو: «يا عمّال العالم اتّحدوا... فلن تخسروا شيئاً سوى أغلالكم، وستفوزون بالعالم كلّه».

القسم الثاني

ديانة التوحيد القمري

مدخل

أهمّ الأسئلة التي تعالجها هذه الأطروحة هي:

هل كان "الله" هو إله الديانات الإبراهيمية السابقة، أم أنّه كان إله القمر والحرب عند الشعوب العربية ما قبل الإسلامية؟

وإذا كان "الله" هو إله القمر والحرب لدى الشعوب العربية ما قبل الإسلام، فهل يمكننا القول أنّ الإسلام ما زال ديانة قمرية بالرغم من محاولة محمد إضافة العديد من القصص التوراتية المحرّفة إلى القرآن؟

بالنظر إلى هذه الأسئلة ما إذا كان "الله"/إله المسلمين هو إله القمر والحرب القديم، فإنّ هذه الأطروحة تعالج الكثير من الأدلّة المتوفّرة. وأغلب الأدلّة المتوفّرة والحالية حول إله القمر تتناسب مع هذه الفئات:

الجغرافيا: كافة المناطق والأقاليم المحيطة بمكّة كانت شعوبها تعبد إله القمر وتعجّ فيها الديانات القمرية.

الحجج اللاهوتية: نلاحظ أنّ حجج المسلمين ضدّ قول أنّ "إلههم/الله" هو إله القمر ضعيفة وواهية وتميل لتصبح موضع شك، في حين أنّ الحجج التي تقول أنّ "الله" هو إله القمر تصبح أقوى وأقوى كما تعمّق الباحث في البحث.

التراث: الأحاديث تثبت عبادة القمر، الطقوس التعبدية، التفكير، والتوجّه.

القرآن:

القرآن هو عبارة عن كتاب مقدّس يتضمّن تعليمات لعبادة إله القمر والحرب، ويتضمّن إلى جانب ذلك قصصاً توراتية مكرّرة ومحشورة كمادة لملء الفراغات. وأي قراءة دقيقة ومتمعّنة للقرآن تكشف التفسيرات الدينية التوراتية فيه، كما تميط اللثام عن أصول الديانة القمرية فيه والمعاكسة لعبادة الشمس التي تتخلّل الديانة المسيحية.

القرآن يفرض فريضة "الحج" على المسلمين، والتي هي في أصلها طقس قمري تابع لعبادة إله القمر، وبعيد كل البعد ومعادٍ لعبادة الشمس، حيث أصبح هذا الطقس شائعاً ومنتشراً بكثيرة بين العرب بسبب شدّة حرارة الشمس الحارقة في شبه الجزيرة العربية.

هنا أورد لكم عدّة أمثلة للتوضيح:

[١]: ذو القرنين كان مسلماً صالحاً. ويشير اسم ذو القرنين إلى ملك يضع على رأسه تاجاً عليه هلال على شكل قرنين، وكان يعبد إله القمر. ذو القرنين يرى الشمس وهي تغرب في بركةٍ من الطين «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ» [الكهف: 86]. يقول الباحثين غيب وكريمر عن ذو القرنين: «القرنين يعودان في أصلهما إلى فكرة ميثولوجية قديمةٌ جداً. "نارام-سِنْ" على سبيل المثال كان يُمَثَّل بصورة الإله "أَدَدْ أو حَدَدْ" لكن بقرنين» (1)

(1) Gibb & Kramers. Encyclopedia, p. 76, Dhu'l-Karnain entry

[٢]: الله الذي أرشد كلاً من محمد وإبراهيم من السماء {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} [البقرة: 144 والأنعام: 75-77] وفي مناسبةٍ أخرى استخدم الله الشمس لإرشاد أولئك الذين لجأوا إلى الكهف، أو أهل الكهف { وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ} [الكهف: 17].

[٣]: أشار إبراهيم إلى النجم الشمالي الذي يدور حول القطب الشمالي ولا ينزل تحت خط الأفق {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي} [الأنعام: 76]. ثم أشار إبراهيم إلى القمر وقال هذا ربي { فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي } [الأنعام: 77].

[٤]: في النهاية، رأى إبراهيم الشمس، ولما قارن بين الشمس والنجوم والقمر رأى أنّ الشمس كانت أعظمها وأكبرها { فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ } [الأنعام: 78]

[٥]: بعد أن دعا إبراهيم النجوم والقمر والشمس "ربي"، قال أنّه وجّه وجهه لله لذي خلق السموات والأرض دون أن يحدّد طبيعة أو صفات هذا الإله { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } [الأنعام: 79].

وهذه القصة والرؤية شبيهة بأساطير الخلق النجمية أو الكوكبية التي كانت سائدة في منطقة الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط، والتي تقول أنّ هناك إلهاً رئيسياً هو الذي خلق النجوم والكواكب.

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

ثمّ خصّص آلهة لكل شيء، واختار نجماً أو كوكباً أو جرماً سماوياً ليستوي فوقه ويجعل منه عرشاً ورمزاً له. في أساطير الخلق النجمية، لايوجد جسم نجمي أو جرم سماوي أبدي، كما أنّ الجسم النجمي أو الكوكب لايعتبر إلهاً، بل إنّ الكواكب والأجرام السماوية هي بمثابة عروش ورموز للإله.

الطقوس والشعائر:

الحج بشكلٍ خاص، وغيرها من طقوس إله القمر، تشير إلى عبادة إله القمر. فكلا القرآن وفريضة الحج شيئان مضادّان للعبادة الشمسية، ليس بسبب أي ميل أوّلي للتوحيد، إنّما لأنّ حرارة الشمس كانت شديدة وقاتلة في شبه الجزيرة العربية.

كتب المفكّرة اللاهوتية كارين آرمسترونغ: «كان طقس الحجّ نفسه في الأصل طقساً خريفياً يبدو أنّهم كانوا من خلاله يضطهدون الشمس الميّتة لتحرير أمطار الشتاء»[1].

العمران وفنّ العمارة:

---

[1] Armstrong. Biography, p. 62

جدار "الحطيم" _ هو القوس المبني حول الكعبة قبالة الحائط الشمالي_ في الكعبة، قبّة الصخرة، المساجد القديمة والحديثة والعديد من المباني العربية والتي تحمل الطابع الإسلامي تشير إلى عبادة إله القمر.

أسس العبادة الداخلية:

المِحراب، الذي يمثل محراب أو مصلى فينوس أو عشتار أو كوكب الزهرة، والعديد من الأشكال المعمارية الأخرى داخل المساجد والجوامع والتي تشير إلى الأصول القمرية-النجمية للإسلام.

الدين والثقافة:

انظروا إلى شكل الأبجدية العربية وطريقة رسم الأحرف فيها واستخدامها، شاهدوا الأعمال الفنية، والرموز على القطع المعدنية والعملات، جميعها تشير إلى أنّ الإسلام مازال نسخة معدّلة من ديانة قمرية قديمة.

الشرور الناجمة عنه:

هناك أنواع من الشرور التي تطبع بشكل خاص فئة أو مذهب معين، من مجرّد ملاحظتها والتمعّن فيها ستعرف المعتقدات الدينية والدوغما الدينية التي نتجت عنها. وأيّة فوارق دقيقة أو طفيفة في المذهب سيكون لها تأثير بالغ وكبير على المجتمع والتاريخ. فالشرور الناجمة عن الإسلام لا تتميّز بها سوى الأديان التي تتبع عبادة إله القمر والحرب.

فيما يخصّ السؤال ما إذا كان يجب أن نعتبر "الله" هو غله القمر، فإنّ الأدلّة دامغة ومثبتة وتشير بقوّة إلى أنّ "الإسلام" ديانة قمرية تنكّرت بطريقة ذكية ومنذ زمنٍ بعيد كديانة يهودية أو مسيحية، أو أنّها نسخة محدّثة عنهما كما تزعم.

المسلمون متفقون على العموم بأنّ "الله" _إلههم_ ليس هو نفسه إله الإنجيل الذي يقرؤوه المسيحيون واليهود الآن، فهم يعتقدون أنّه كتاب محرّف ولا يعترفون بصحّته.

كما أنّهم متفقون أيضاً أنّ "الله" لا يشبه الثالوث المسيحي الذي يعبده المسيحيون.

في النهاية يمكننا القول أنّ الهلال الذي يراه الناس فوق المساجد، وانتظار المسلمين القمر ليتبينوا من خلاله مواعيد الأعياد، هو أوضح دليل وإشارة إلى الطبيعة القمرية للدين الإسلامي، واللبيب من الإشارة يفهم.

الله، بوصفه إلهاً للحرب

إله القرآن متطابقٌ في مواصفاته وخصائصه مع إله الحرب والقمر لدى الشعوب العربية القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية أو اليمن. وقد جاء في موسوعة ميريام-ويبستر لأديان العالم (2000) ما يلي:

«أغلب آلهة القبائل العربية كانت آلهة سماوية، وغالباً مرتبطة بالكواكب والجرام السماوية (وبشكل رئيسي الشمس والقمر)، وقد نسبوا لها قوىً وقدرات مثل الخصب، الحماية، والانتقام من الأعداء» [1]

وكتب ديتليف نيلسِن يقول: «...الإله الرئيس، كان إله الحرب، وهو الإله القومي الذي يعبد بشكل رسمي... في جميع الأرجاء الجنوبية لشبه الجزيرة

---

[1] Encyclopedia of World Religions p. 70 Merriam-Webster's

العربية، نعم، فهناك في جميع المعالم والأوابد السامية تقريباً علامة واضحة وجليّة لإله القمر»[1]

وعلى سبيل المصادفة نلاحظ أنّ الآلهة الرئيسية عند شعوب جنوب شبه الجزيرة العربية وإقليم الحبشة هي آلهة قمرية، وسنتناول موضوعها لاحقاً. كتب الباحث إيغرتون سايكس أنّ "الله «كان مسبوقاً بإله اسمه "إلمقه" أو "أل-مقه" وهو إله القمر عند السبأيين»[2]

الذي جرى تعديل اسمه لاحقاً ليتحوّل إلى الإله "سِنْ" الرافدي. وقد أكّد الدكتور سيّد القمني أنّه «كان أيضا من أسماء إله القمر عند العرب السبأيين هو "إل مقة" التي تترجم إلى اللغة العربية "الله رب البيت الحرام الموجود في مكة"» [3]

فكلمة "إل" تعود للمصدر العبري "إيل" أي "رب"، وحسب اختلاف الألسن واللهجات، من المرجّح أنّ حرف الكاف تغيّر لدى السبأيين ليصبح "مقّة" بدل "مكّة". وبذلك يصبح معنى "إل-مقّة" يساوي "إيل-مكّة" أي إله أو رب مكّة.

---

[1] Nielsen, 1912, pp. 593-594

[2] Sykes. Mythology, p. 7, Allah entry

[3] سيد القمني، الأسطورة في القرآن، صـ4-11

ويقول سيد القمني أيضاً «كان (الله) إله القمر مذكر، وكانت زوجته (اللات) وهي الشمس، وكان لهما ابن هو (عشتر [أو ربما عشتار]، أو الزهرة)»[1]

أمّا السبأيون فحسب تعريف موسوعة الويكيبيديا فإنّهم شعوب عربية قديمة كانوا يتحدّثون اللغة العربية الجنوبية العتيقة، عاشوا في المنطقة التي تسمّى اليوم باليمن، جنوب غرب شبه الجزيرة العربية [2].

كانت مملكة سبأ تتميّز بنظام حكم ثيوقراطي شبيه بالخلافة الإسلامية. يكتب سيمبسون قائلاً: «كان السبأيون يُعرَفون بشكل رئيسي من خلال ولائهم لإله القمر "ألمقه". فهم كانوا "أبناء ألمقه"، مرتبطون فيما بينهم بعادات وتقاليد وطقوس واحتفالات مشتركة، وحاكم مشترك»[3]

وعلى غرار الإسلام، فالتحالفات التي أقامها السبأيون كانت تتميّز بطابع ديني غالباً، كما أنّ الحروب التي شنّها السبأيون كانت حروباً دينية، كما يخبرنا بريتون: «مع تمدّد واتساع نفوذ دولة سبأ عبر القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، تمّ فرض مذهب عبادة "ألمقه" على القبائل والعشائر التي كانت لديها بيوتاً للآلهة خاصةً بها...

---

(1) سيد القمني، إله القمر، صـ11

(2) http: / /en.wikipedia.org /wiki /Sabaeans

(3) Simpson. Sheba, p. 68

ومع اتساع الدولة السبأية، انتشرت ديانة "ألمقه" إلى الأقاليم المغزوّة، بل وحتى الأقاليم والمناطق الحليفة. وقد قام ملك قَمنة الذي شيّد جدار نَشق العالي بتكريس هذا الصرح للإله "ألمقه"، ملوك "مأرب" و"سبأ". وعندما سيطر السبأيون على مدينة "نشّان" [التي هي مدينة "نشن" في يومنا الحالي]، أجبروا سكّانها على بناء معبد للإله "ألمقه" داخل أسوار المدينة كعلامة على خضوعهم للسلطة السبأية.

وعندما تحالفت القبائل القاطنة في المرتفعات مع مملكة سبأ، قامت إمّا ببناء معابد خاصة بها لإله "ألمقه"، أو أنّها كانت تذهب لزيارة معابد هذا الإله في مواسم الحج. تمّت إقامة عدد من البيوت والمعابد عبر أراضي عشيرة "بقيل" بالقرب من عمران والريضة، شمال غربي صنعاء... وقد تمّ جمع وتوحيد القبائل والعشائر المختلفة ضمن كيان سياسي واحد عن طريق اعترافهم المشترك بالـ"ألمقه" كإله أساسي ورئيسي... كان الملك يقيم مأدبة طقسية شعائرية لكامل المجمع العشائري... للإعلان عن إجراءات الأمن الجماعي ومراسيم أخرى...» [1]

هذه الحركة التوفيقية الإجبارية تذكّرنا كيف أنّ محمداً أمر المسلمين أن يقاتلوا حتى يصبح الدين كلّه لله [البقرة: 193، الأنفال: 39]. لذلك عندما كان المسلمون يغزون إقليماً أو منطقة، كانوا يفرضون عبادة "الله" على الشعوب الوثنية تحت طائلة عقوبة الموت، لكنّهم لم يقوموا بقتل أو إجبار أحد

---

[1] Breton, Felix, p. 117....120....131

من اليهود أو المسيحيين على اعتناق الإسلام قسراً، لأنّهم افترضوا أنّهم كانوا يعبدون "الله" مسبقاً.

. إنّ حقيقة أنّ الإله الرئيس عند العديد من القبائل الجنوبية في شبه الجزيرة العربية كان إله القمر والحرب بدلاً من أي إله من مرتبة أدنى أو ثانوي يعني أنّه كانت هناك حالة حرب دائمة ومستمرّة بين الممالك. وهذه الحالة شبيهة بالحالة السائدة للإسلام طوال الأربعة عشر قرناً الماضية، كما قال صموئيل هنتنغتون: «حدود الإسلام دامية كما هي أحشاؤه»[1]

وبما أنّ "الله" هو إله الحرب والقمر، لا يستطيع المسلمون الانتقال إلى إله آخر لإسعاد "الله" أو لإرضاء "الله". والشيء الوحيد الذي بمقدورهم القيام به هو السؤال: «يا "الله"، لماذا كتبت علينا القتال؟» {وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} [النساء: 77، البقرة: 216، التوبة: 86، الأحزاب: 101-102، محمد: 20].

وقد كتب سيمبسون عن حالة الحرب الدائمة بين الممالك العربية الجنوبية التي يصادف أنّ جميعها لديها آلهة حرب عليا:

«أغلب النقوش التذكارية السبأية [110 ق.م – 300 ب.م] تمّ تكريسها على أمل بمساعدة الإله في حل بعض المشاكل، أو أنّهم يقدّمون شكرهم وامتنانهم على مساعدات قدّمها لهم مسبقاً. وهناك موضوعين كانا يتم التطرّق لهما أغلب الأحيان، الانتصار في الحرب والولادات. وبما أنّ الفترة السبأية

---

[1] هنتنغتون، صراع الحضارات، صـ258

الوسيطة كانت "حالة حرب دائمة" بين الدول العربية الجنوبية، كان من الطبيعي أن يعبّر الناس عن امتنانهم لعودتهم من الحروب سالمين غانمين...

كافة الآلهة الرئيسية كانت تتمّ استشارتها عن طريق كهنة أو وسطاء لها في جميع شؤون الحياة الإنسانية تقريباً، كأوقات شنّ الحروب أو انتظار مواليد جدد»[1]

كما أنّ القراءة حول دين إله القمر والحرب السبأي "ألمقه" من خلال النقوش داخل معابده ستمدّنا ببصيرة حول خلف ألمقه، "الله" والإسلام: # هناك نقش يعود للعام 250 م نقرأ فيه: بالنسبة لخادمهم كوكب، فهو يقدّم شكره لقوّة ومجد "ألمقه طهوان" [أي، الثور] لأنه منَّ عليه بالسلامة والحياة والنجاة في جميع تلك المعارك والحروب، ولأنّه مَنَّ عليه بالعودة سالماً شريفاً، مع غنائم اغتنمها من اثنان وثلاثين عدواً قتلهم وحده، وبجائزة أسرّت قلبه. [2]

نقرأ في نقش يعود للسنة الأولى قبل الميلاد: ريبب يعزم من قبيلة الأخرف في هيرّان قد كرّس هذا النقش للـ"ألمقه" في هيرّان لأنّ... ألمقه قد منّ عليه بالغنائم، الجوائز، والسبي... ولأنّه أنقذ خادمه ريبب في المعركة التي واجه فيها العرب في أرض منهات... [3]

---

[1] Simpson. Sheba, p. 164 + figure 59

[2] Simpson. Sheba, pp. 62–63 + figure 30

[3] Simpson. Sheba, p. 63 + figure 31

اسم كرب إيل وتر، ابن ذمار علي (العام الثامن ق.م تقريباً) منقوش في حجر ضخم داخل معبد ألمقه في سراح، يتحدّث عن مآثره التي من ضمنها "فرض سيطرته على طريق البخور [و] سحق مملكتي أوسان ونشان [1] والتماثيل أيضاً تعطينا لمحة ليس فقط عن "ألمقه"، بل عن "الله"

أيضاً: التمثال البرونزي التذكاري الشهير لـ "معد يكرب" في معبد "ألمقه" بأوّام، وقد نقش عليه رسالة تظهر أنّه مكرّس للإله "ألمقه". فالرجل محارب كما تشير قبّعته المصنوعة من جلد الأسد مع أربع براثن ظاهرة، كما أنّه يملك جنبية أو خنجراً معقوفاً مثبتاً على حزامه [2]، وقبضته اليمنى مغلقة وممدودة يتخلّلها ثقب أي ربّما أنّه كان يمسك بها سيفاً. الخنجر المعقوف أو الجنبية يشير إلى أنّ "ألمقه" هو إله القمر والحرب

معبد برآن أو باران يبعد مسافة اثنان كيلو متراً جنوباً عن معبد "ألمقه" الأساسي في مأرب التي كانت تسمّى سابقاً أوّام، لكنّها أصبحت تسمّى الآن "حرم بلقيس أو محرم بلقيس".

هناك نقش وجد محفوراً على أحد الأعمدة العملاقة الستة جاء فيه "ألمقه باران". قطعة من لوحة برونزية تعود إلى العام الخامس قبل الميلاد من معبد باران تظهر وعلان، شجرة الحياة على النمط الآشوري بين ثورين مجنّحين

---

(1) Simpson. Sheba, p. 69

(2) Phillips. Sheba, p. 287

وستّة جنود في الموكب، كل واحدٍ منهم يحمل أقواس وكؤوس _اليد المقطوعة للعدو المهزوم[1].

الوعول والثيران المجنّحة هي رموز لإله القمر وصورة الجنود الذين يحملون أيادٍ مقطوعة تظهر أنّ "ألمقه" كان إلهاً للحرب والقمر. صورة الأيدي المقطوعة تذكّرنا بالعقوبة التي ينصّها القرآن بقطع الأيدي :

{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ} [المائدة: 33]

كما أنّ القرآن يأمر بقطع رؤوس الأصابع والرؤوس

{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: 12]

هناك لوحات مكرّسة لإله القمر والحرب _ويظهر في الصورة أتباع له رافعين أيديهم اليمنى للأعلى، وممسكين بأديهم اليسرى سيوفاً_ كل سيف من تلك السيوف فيه مقبض نهاية على شكل هلال[2]

هناك أيضاً تماثيل برونزية مكرّسة لإله الحرب والقمر "ألمقه"، وأغلبها تبدو وهي تحمل سيوفاً أو رماحاً نظراً للثقوب التي تتخلّل أيديهم المغلقة.

---

[1] Simpson. Sheba, pp. 60–61 + catalog 26 (5th C BC bronze plaque)

[2] Simpson. Sheba, catalog 124

وهناك نقش محفور على أحد التماثيل جاء فيه أنّه الجندي البرونزي الرابع الذي تمّ تكريسه للإله "ألمقه" من قبل أحد أتباعه[1].

وبما أنّ "الله" نفسه كان إلهاً للحرب والقمر، فإنّ خاصية حمل السيف أثناء التبشير أو الوعيد والنذير كما نرى الآن عند الجماعات المتطرّفة _مثل داعش والنصرة والقاعدة_ هي ميزة أساسية يتميّز بها الإسلام، كما كتب زويمر يقول:

«لا مجال للشك أنّ العصا أو السيف كان ملحقاً أساسياً وضرورياً يحمله الداعية من بدايات الإسلام. وأقتبس هناك قول للجاحظ [776-868م] جاء فيه: "برأيي أنّ الواعظ أو الداعية يمكنه أن يصعد إلى المنبر عارياً طالما أنه يرتدي العمامة ويحمل عصا"»[2]

حاشية هامة :

هناك في الإسلام العديد من الفرق والمذاهب الغنوصية التي تعتقد بتجلّي الله في القمر، حتى أنّ بعض تلك الفرق يعتقدون أنّ "الله" تجلى في القمر وأنه لم تطأوه رجل إنسان قط. تلك الفرق تقدّس القمر وتجلّه، ويمكننا القول أنّ هذا الإجلال والتقديس شكل من أشكال الذكريات القديمة للعبادات القمرية السالفة التي كان الإسلام أساسها.

---

(1) Simpson. Sheba, catalog 24 (6th C BC 4th of 4 bronze warriors), catalog 25 (7th-6th C BC bronze statue), pp. 59-60

(2) Zwemer. Heirs, ch. 4, p. 37

هناك العديد من الإشارات التي تشير إلى أنّ محمداً كان نبياً محارباً يعبد إله الحرب والقمر. على سبيل المثال، نبوءته الوحيدة _إن صحّت تسميتها نبوءة_ كانت حول من سيربح الحرب بين الروم البيزنطيين والساسانيين الفرس {غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ} [الروم: 2-4] وهي على الأرجح لا تعدو كونها مجرّد تمني أو ما يسمّى عادةً بالـ Wishful Thinking.

المهم أنّ الدين الذي أقامه محمد لم يكن متمحوراً حول فكرة المسيّا أو الأمور المذهبية، بل كان عبارة عن تعليمات مؤسّسة للحرب تتضمن إرشادات لمعاملة الغير من الذميين بالنسبة للشعوب المقهورة من المسيحيين واليهود، وقانون الشريعة الإسلامية التي تتضمّن عقوبات صارمة وجائزة بالنسبة للجميع.

إنّ حقيقة أن " الله" كان إلهاً للحرب والقمر يمكن رؤيتها من خلال حقيقة أنّ "الله" كان يُنظر إليه بوصفه حامياً للمؤمنين فيه {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: 107- 120- 257- 286، آل عمران: 68- 122-123]، في حين أنّ الأصنام أو الأوثان، أو الآلهة الأخرى التي كان يعبدها الآخرون فهي التي تحمي الكفّار وتنصرهم {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ} [البقرة: 257] وهذا شبيه تماماً بما كان يجري في الديانا الشركية السابقة، فكل إله كان يحمي أتباعه والمؤمنين فيه، وينصرهم عندما كانوا يتضرّعون إليه ويطلبون منه المعونة.

ممّا سبق نستنتج أنّ المسلمين يعتقدون أنّ العالم كله منقسمٌ إلى معسكرين بينهما حرب دائمة لا تنطفئ إوارها (دار الإسلام) و(دار الحرب). الذمي أو أهل الذمة يعني "المحميون" أو "الذين تحت حماية..."، وكذلك هم المسيحيون واليهود الذين عليهم دفع ضريبة "الجزية" لقاء حمايتهم، واعترافاً منهم بسيادة الإسلام، وأنّهم في حالة خضوع مطلقة للمسلمين

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: 29].

لذا أي إنسان يسمح له بالبقاء على قيد الحياة في دولة الإسلام أو دار الإسلام يجب أن يكون محياً إمّا من قبل "الله"، أو من قبل أتباع "الله" والمؤمنين به.

يأمر محمد المسلمين بالقتال حتى يصبح الدين كله لله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة: 193، الأنفال: 39].

الإسلام أيضاً هو دين ينحل لنفسه جميع الأنبياء وينكرهم على الأديان الأخرى، كأن يقول عن إبراهيم أنّه كان مسلماً

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67]،

كما أنّه دين يؤمن بسيادة مجموعة من البشر على الآخرين

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139] و{مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: 56] وانظر أيضاً [الأنفال: 30، التوبة: 29-33، الفتح: 28، الصف: 9]

إله القمر الذكر لدى الشعوب الشرق أوسطية غالباً ما يتمّ تصويره وهو يحمل سيفاً معقوفاً وذلك تطابقاً مع شكل الهلال الذي يتّخذ لنفسه شكل السيف. لذلك كانت آلهة القمر آلهة محاربة بطبيعتها. ويبدو أنّ هذه الحقيقة قد تبيّنها جلجامش. يبدو أنّ جلجامش ينسب إلى "سِنْ" قدرته على حمل فأس وسيف لقتل وتشتيت مجموعة من الأسود خلال الليل[1].

من بين الكثير من الطرق لمعرفة أنّ "الله" كان إله القمر والحرب في زمن ما قبل الإسلام هي حقيقة أنّ المكيين عندما كانوا ينوون شنّ حرب أهلية، كانوا يقسمون قسم الحرب، أو قسم المطيّبين، داخل المسجد المجاور للكعبة.

عندها يقوم الرجال بغمس أيديهم بالطيب وفركها بجدار الكعبة لتقوية وتعزيز القسم «وانقسمت بطون قريش فرقتين: ففرقة بايعت عبد الدار وحالفتهم، وفرقة بايعت بني عبد مناف وحالفوهم على ذلك، ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسموا حلف المطيبين.»[2].

---

[1] ملحمة جلجامش.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، فصل: تفويض قصي أمر الوظائف لابنه عبد الدار

علاوةً على ذلك، إنّ الرجل الذي كان يملك مفتاح الكعبة والمسجد، كان هو أيضاً حامل لواء الحرب، كما قال ابن إسحاق: «الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار»[1]

كانت تعرف الكعبة "ببيت الله"، لذا فإنّ هذه النشاطات الحربية المتعلّقة بالكعبة تشير إلى أنّ "الله" في الأساس كان إلهاً للحرب. وبنفس الشكل، فإنّ الجانب الحربي للمساجد كان يُرى في إسبانيا الوسيطة حيث كانت رايات الحرب تبقى في مسجد قرطبة حتى يخرج الجنود إلى المعركة[2].

يظهر التراث الإسلامي وتاريخ الحروب الإسلامية أنّ "الله" كان إله الحرب في فترة ما قبل الإسلام. ويتضمّن القرآن تعاليم كثيرة حول المعاهدات والمواثيق [البقرة: 177، النساء:90-92، الأنفال: 56-58-72، التوبة: 1-3-4-7-8-12] آيات الحرب ال164 في القرآن هي تصريح واضح وجليّ بأنّ "الله" هو إله الحرب.

"فالله" يقول مراراً وتكراراً بأنّه "يحبّ" أتباعه الذين "يقاتلون"، على سبيل المثال:

{إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: 4][3]

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، فصل: تفويض قصي أمر الوظائف لابنه عبد الدار

[2] Nicolle. Moors, p. 10

[3] راجع أيضاً: [آل عمران: 146، المائدة: 54، الحجرات: 9، الصف: 4]

ألم يقل الحبر الأعظم في العالم الإسلامي داعية الإرهاب الشيخ يوسف القرضاوي أنّ المسلمين والعرب والفلسطينية عندما يمضون إلى الحرب، فإنّهم بذلك يتعبّدون الله، وحروبهم شكل من أشكال عبادة الله، فهم يدخلون الحرب كمسلمين[1]

هذا الإله الضارب على صدره كالغوريلات، إله الحرب، كان مهتماً جداً بالحرب وعاشقاً لها طوال الوقت لدرجة أنّ أتباعه حتى اشتكوا منها قائلين {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} [النساء: 77][2]

وبإمكاننا رؤية حقيقة أنّ "الله" هو إله حرب وقتال، وأنّ الإسلام عبارة عن ماكينة حرب دائمة، من خلال عقوبة الردّة المنزلة على المرتدين أو تاركي الإسلام. كما أنّ الخروج عن أي جماعة أو ترك الجيش أثناء الحرب يعتبر ارتداداً ويستحقّ الموت لأجل ذلك.

هناك طريقة أخرى لمعرفة أنّ "الله" كان إلهاً للحرب، من خلال حقيقة أنّ كلمة "حرب" مرتبطة بالجذر العربي "حرب"، ويشتقّ منها "الحربة"، و"المحراب". فالـ"محراب" أو المصلى دوماً موجّه إلى القبلة في أي مسجد ويشير إلى الكعبة في مكة. لذا كل مسلم في المسجد يصلّي ضمن محراب لإله الحرب والقمر "الله".

---

(1) "Leading Islamist Sheikh Yousef Al-Qaradhawi..." memri.org, 28 Feb 2006, no. 1102, JW

(2) انظر أيضاً: [البقرة: 116، التوبة: 86، الأحزاب: 10-12، محمد 20]

وقد عثر على عملات معدنية تعود للحقبة الأموية إلى التاريخ 695-698م نقش عليها رسم محراب وحربة.

آية الله الخميني يتحدّث عن الغاية من "المحراب" في خطاب له عام 1981 أثناء احتفالية بالمولد النبوي: «محراب يعني مكاناً للحرب، مكاناً للقتال. خارج المحراب يجب أن تبقى الحروب مشتعلة. على غرار جميع الحروب في الإسلام التي بقيت مشتعلةً خارج المحاريب. كان النبي يملك سيفاً يقتل به الناس.

أئمتنا المبجّلون كانوا محاربين أشاوس. نحن بحاجةٍ لخلافة تقطع الأيدي، تحزّ الأعناق، ترجم الناس. وبنفس الطريقة التي كان فيها رسول الله يقطع الأيدي ويحزّ الأعناق ويرجم الناس. بنفس الطريقة التي قضى فيها على يهود بني قريظة لأنّهم كانوا ثلّة من الساخطين. وإذا كان النبي يأمر بحرق منزل أو إبادة قبيلة عن بكرة أبيها، كان ذلك مبرّراً» (1)

طريقة أخرى لتمييز "الله" كإلهٍ للحرب وذلك من خلال النظر إلى العديد من المساجد التي تمّ تشييدها وبناءها على شكل قلاع حصينة. فالمحاريب الأربعة، أو المئذنات، تذكرنا بأبراج المراقبة. والجدران الأربعة الثخينة

(1) خطبة الخميني في يوم عيد المولد النبوي 1981 "Khomeini's speech on the day of celebration of the birth of Muhammad: 1981," faithfreedom.org, accessed 24 May 2006

والصلدة التي تحيط بأغلب المساجد، جدران طويلة ومرتفعة لدرجة أنّ أيّ شخصٍ يقف عندها لا يسعه رؤية سوى قبّة المسجد.

في هذه المساجد المحاطة بالجدرات العالية يقوم رجال الدين وسدنة هياكل الوهم الإسلامي بإصدار فتاويهم باستباحة دماء الكفّار والزنادقة والمرتدين على حسب تعبيرهم، وأسلمة المجتمعات وضمان تخلّفها ورجعيتها.

هناك في تلك القلاع الحصينة يؤلّب الأئمة والشيوخ ورجال الدين جموع المسلمين بخطبهم النارية وصلواتهم اللاعنة. هناك داخل تلك الحصون يُبَرمَج المسلمون ليقوموا بتشكيل عصبات قاتلة عندما يسمعون من شيوخهم وملاليهم بوقوع انتهاك للشريعة أو أنّ أحد ما قام بنقد دينهم، أو أنّ القرآن قد تمّ تدنيسه.

يمكننا التأكّد من صحّة مقولة أنّ الإسلام هو دين إله الحرب، "الله"، من خلال حقيقة أنّ البعض يرى أنّ هناك ستّة أركان للإسلام، بل ويرى أنّ الإخلال بإحداها يبطل جميع الأركان الأخرى، فالكثيرون يرون أنّ الركن السادس للإسلام، هو الجهاد، هذا إضافةً إلى البديهية القائلة بأنّ العالم كله مقسومٌ إلى معسكرين متحاربين إلى أبد الآبدين حتى يوم الدين، دار الإسلام ودار الحرب.

لاحظوا أعزائي القرّاء الجذر الثلاثي "حرب" المشترك بين "دار الحرب" و"محراب" الذي سبق أن ناقشناه. والسبب في تسمية المصلى "محراب" تيمّناً بالحربة هو أنّ النسخة الخارجية من المحراب في رمح مغروس بالإرض _أو ما

يطلق عليه رجال الدين والتراث بالسترة. وستتحدّث لاحقاً عن استخدام محمد للسترة.

ولا يسعنا هنا القول عن معادلة «"محراب" يعني "رمح أو حربة"» أنّها مجرّد مصادفة لغوية أو إتيمولوجية عندما نمعن النظر في حقيقة أنّه على مدار التاريخ الإسلامي كان أئمة المساجد والخلفاء المنصّبون حديثاً أثناء خطبهم التي كانوا يلقونها من المنابر التي لا تبعد كثيراً عن المحراب.

كتب ريكولدو دا مونتيركروسه عام 1300م:

«...عندما يجتمع [المسلمون] لدراسة القرآن مع علمائهم الدينيين، كان المدرّس المسؤول يسحب سيفاً، يحمله بيده أثناء التعليم أو يضعه في مكان على مرأى من الجميع ليرهب به السامعين»[1]

في عام 1917 كتب جون بوتشان في الفصل الأول من روايته "غرينمانتل": «الإسلام عقيدة قتالية، وما زال الملالي يطلّون من على منابرهم وهم يمسكون بالقرآن في يد وسيفاً في اليد الأخرى».

وقد كتب زويمر في عام 1946 أنّ أئمّة المساجد كانوا يحملون سيوفاً أثناء خطبهم:

«قد لا يعرف الكثيرون أنّه في كل مسجد، حسب التراث الإسلامي، من غرب أفريقيا إلى الصين الغربية، هناك سيف معقوف أو عصا معقوفة موجودة بالقرب من المنبر، والسيف على درجة عالية من الأهمية ليستخدمه الإمام أثناء

---

[1] Montecroce. Crucible, p. 79

خطبته ايام الجمعة. في بعض الأحيان يكون هذا السيف مصنوعاً من الخشب، لكنّ الرموز حاضرةٌ دوماً»[1]

لم يقتصر الأمر على أنّ القرآن قد جعل الإسلام يبدو كدين عسكري يعبد غله الحرب، بل إنّ الشريعة الإسلامية فعلت ذلك أيضاً، كما كتب غويل:

«يبدو الإسلام كثير الشبه بالآلة العسكرية... فالقواعد والتعليمات التي تنصّها الشريعة الإسلامية تقرأ كتعليمات وإرشادات يتمّ استخدامها داخل المعسكرات: يستيقظ الجندي كل صباح على نداء البوق، يوضّب سريره... أرى أنّه من المدهش والمضحك عندما نشاهد هذا الالتزام الميكانيكي المتمثّل بعددٍ من الممارسات والحركات الخارجية يُقَدّم من قبل رجال الدين المسلمين على أنّه جوهر وأساس الروحانية العالمية والقيم الأخلاقية»[2]

وقد كتب الكونت كيسرلينغ عن كيف أنّ الإسلام عبارة عن آلة حربٍ ضخمة، وأنّ "الله" عبارة عن "سيد من أسياد الحرب". وقد لاحظ الكونت كيسرلينغ عملية العسكرة هذه لكافة نواحي الحياة اليومية للمسلم عندما كان في رحلة سفر عبر البلدان الإسلامية. وقد جمع كل انطباعاته في كتاب عنوان "مذكّرات فيلسوف في رحلاته".

وقد كتب قائلاً: «الإسلام دين الخضوع والاستسلام التامين لله _لكن هذا الإله يتمتّع بمواصفات محدّدة_ سيد من أسياد الحرب، يفعل بنا ما يشاء

---

(1) Zwemer. Heirs, ch. 4, pp. 42-43

(2) Goel. Calcutta, ch. 8

ويأمرنا بالقتال الدائم ضد الأعداء. طقوس هذا الاعتقاد تجسّد فكرة الالتزام. فعندما يؤدي المؤمنون الملتزمون في كل يوم وفي ساعات محددة صلواتهم ضمن صفوف مرصوصة داخل المسجد، الجميع يقومون بنفس الحركات وفي نفس اللحظة، فإنّهم لا يقومون بذلك كطريقة لرفع الوعي الذاتي كما في الهندوسية، بل كما يقف الجندي البرومي ويصطفّ أمام قيصره»[1]

كان الإسلام دين إله الحرب منذ بدايات الأولى. 164 آية للقتال في القرآن... الجهاد وقتال الكافرين... الردّة وقتل المرتدّين...

الناسخ والمنسوخ: آية السيف التي نسخت جميع آيات السلم قبلها...

الأدلة جميعها تشير إلى أنّ الإسلام هو دين إله القمر والحرب.

آلهة القمر كلها لم تكن هي القمر نفسه، بل كانت مرتبطة بالقمر.

والأدلة تشير إلى أنّ رمز "الله" الحقيقي في الإسلام هو القمر.

قد يستغرب البعض فكرة أنّ "الله" هو إله الحرب، وأن الإسلام هو عبارة عن ديانة وثنية قديمة _على غرار اليهودية الشركية/التعددية القمرية، والمسيحية الشركية/التعددية الشمسية_ معدّلة لإله القمر، لكنّ هذا الاستغراب ينطوي على جهل وسوء فهم لطبيعة ومعتقدات الديانات القمرية الوثنية القديمة.

إحدى حالات سوء الفهم الشائعة حول الأديان النجمية/ السماوية [كونها تقوم على عبادة الأجرام السماوية والكواكب والنجوم، وليس كونها

---

[1] Goel. Calcutta, ch. 8

منزلة من السماء] هو أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الشمس والقمر والنجوم كانوا آلهةً وإلهات. كان الوثنيون يؤمنون أنّ الأجرام المضيئة واللامعة في السماء كانت في الحقيقة أجراماً ثابتة وساكنة خلقتها كائنات ذكية وتسيّرها وتسيطر عليها.

في الديانات النجمية، كانت الأجرام السماوية تجسّد رموزاً وعروشاً عالية للآلهة النجمية التي كان يتمّ تمثيلها كأشخاص مؤلّهين. على سبيل المثال:

(١): كان أتباع الديانات النجمية في صور وصيدا يؤمنون بأنّ هيرودس إله [أعمال الرسل 22:12]

(٢): وأنّ عابدي الشمس انحنوا باتجاه الشمس، فإنّهم كانوا يعتقدون أنّ الشمس كانت عربة تجرّها الخيول كالتي يمتطيها البشر [2 ملوك 23: 11، حزقيال 8: 16]

(٣): عبدة النجوم في العهد القديم صنعوا صوراً من آلهتهم وكانوا يضعونها داخل معابدهم [أعمال 7: 43]

(٤) : وفي ليستره بآسيا الصغرى اعتقد الناس أنّ بولس وبرنابا أنّهما من الآلهة التي تشبّهت بالبشر ونزلت إلى الأرض [أعمال 14: 12-13]. واعتقد الليكونيين أنّ بارنابا كان "زيوس" أو المشتري/ جوبيتر. وأنّ بولس كان "هرمس" أو ميركوري/ عطارد.

قد يقولون الآن أنّ "الله" موجودٌ في السماء، أو فوق السموات، أو في كل مكان وليس في أي مكان. المهم أنّ رمز "الله" وعلامته هي القمر، ودين الإسلام هو دين معدّل من ديانة قمرية قديمة. لكن هناك نقطة أخيرة، هل

"الله" هو نفسه إله العهد القديم والجديد؟ هو نفسه إله المسيحيين واليهود؟... هل يعترف المسيحيون واليهود بهذا الإله الإسلامي ويعتبرون إلههم كما يزعم المسلمون اليوم دعاة التآخي الديني ومقولة "إلهنا وإلهكم واحد"؟

بعض المسلمين يقرّون بأنّ العرب ما قبل الإسلام كانوا يعتقدون أنّ "الله" هو إله القمر، لكن يمكننا أن نفترض أنّ محمد قد أزال هذه المعتقدات والأفكار الوثنية. وسنبيّن هنا أنّ "الله" مازال محتفظاً برموز إله القمر، كما أنّه خصائصه وشخصيته ما زالت تلك التي كان يتمتّع بها في زمن ما قبل الإسلام. ولكنّ أغلبية المسلمون يرون أنّ "الله" ليس هو نفسه إله الإنجيل. فإله العهد الجديد يحمل سمات الديانات الشمسية، كما أنّه عبارة عن ثالوث، والمسلمون لا يقرّون بذلك.

هناك مسلمون ستزعجهم حتى مجرد فكرة أنّ الله كان إلهاً للقمر. فقد صرّح معهد الدراسات الإسلامية: «في الفصل الرابع يزعم [روبرت موري] أنّ "الله" كان أحد أسماء إله القمر، وهذا من شأنه أن يجعل من المسلمين عبدة قمر ووثنيون، وتلك أسوأ كذبة قد يطلقها أحدهم ضدّ الإسلام خلال الأربعة عشر قرناً الماضية.

الكذبة التي تقول بأنّ "الله" هو إله القمر قد جرى التقاطها من قبل العديد من المؤسسات المعادية للإسلام والتي راحت تطبع ملايين الكرّاسات

والنشرات والبروشورات وتوزّعها في جميع العالم المتحدّث باللغة الإنكليزية»[1]

إنّ القول بأنّ "الله" هو نفسه "إله الإنجيل" فكرة سخيفة إذا أنّ الأخير ثالوث، بينما الأول واحد، حتى أنّ المسلمون ينكرون عقيدة التثليث بالأساس. حتى أنّ خصائص الإله وأفعاله في العهد الجديد تختلف تماماً عن خصائص "الله" وأفعاله في القرآن.

محمد لم يكن يعرف ما الذي يتحدّث عنه، فقد ظنّ أنّ اليهود كانوا يعبدون "عزير" أو "عزرا" بصفته ابن "الرب" {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة: 30].

أنّ أشخاص الثالوث المسيحي هم "الله" الأب، ويسوع/ عيسى الابن ومريم الأم {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة: 116]

علاوةً على ذلك قال محمد عن هذه الأديان التالية أنّها تعبد إلهه، "الله":

الديانات الوثنية النجمية العربية القديمة كالصابئة {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا

---

[1] An Anti–Islam Book Review," The Institute of Islamic Information & Education (III&E), iiie.net /Articles /AntiIslamBookReview.html, accessed 1 Jan 2004

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 62، المائدة: 69]

الزرادشتية [الحج: 17] دين إبراهيم، أو كما يحلو للمسلمين تسميته بملّة إبراهيم (الحنيفية) {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [البقرة: 135]

جغرافية العبادات القمرية في الشرق الأوسط

إنّ حقيقة أنّ الله كان هو إله "القمر" لدى العرب تبدو غريبة، إلى حين يبدأ بدراسة السياق والمناخ الديني لمنطقة الشرق الأوسط. هنا سنبدأ بتأسيس قصير وسريع لمراكز عبادة القمر في الشرق الأوسط. هذه المدن يمكن تحديد مواقعها على خريطة الشرق الأوسط حالياً، هذه المدن هي:

أكسوم، خربة الكَرَك Beth Yerah، حران، حاصور، الحريضة، أريحا، مارب، مكّة، قرناو، شبوه، صحراء سيناء، تيماء، تمنع، أور الكلدانية، وصحراء "تزِن" المذكور في التوراة[1] في الخريطة الموجودة في النسخة الإلكترونية يمكننا ملاحظة الكثير من المعابد المنتشرة في منطقة الشرق الأوسط.

والمشكلة هي أنّ تلك المعابد الكبرى الموجودة في العواصم والمراكز الحضرية هي وحدها المذكورة في الكتب التي يقرأها العامة، أمّا البقية المنتشرة بكثافة في جميع البقاع تقريباً فجرى طمسها أو التعتيم عليها من قبل المؤسسة

[1] العدد 27: 14، 33: 36، المزامير 29: 8

الإسلامية، أو أنّها ليست مذكورة سوى في كتب وأبحاث علماء التاريخ والأركيولوجيا.

بإمكاننا القول أنّه كان هناك معبد أو حرم وثني «عَلَى كُلِّ تَلٍّ مُرْتَفِعٍ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ» حسبما ورد في التوراة أو العهد القديم[1] وأغلب الكعبات والحَرَم في منطقة الشرق الأوسط كانت أيضاً معابد لإله القمر في الأزمان الغابرة، بل كانت كل خيمة بدوية تحتوي إلهاً أو صنماً نحت عليه هلال.

علاوةً على ذلك، كانت الجواهر والحلي التي يضعها الناس على أعناق الجمال على شكل أهلّة «فَقَامَ جِدْعُونُ وَقَتَلَ زَبَحَ وَصَلْمُنَّاعَ، وَأَخَذَ الأَهِلَّةَ الَّتِي فِي أَعْنَاقِ جِمَالِهِمَا» [قضاة 8: 21–26]، إضافةً إلى أنّ الحلي والمجوهرات التي كان يرتديها العرب واليهود كانت تضع على شكل أهلّةٍ أيضاً تكريماً وتمجيداً لإله القمر «يَنْزِعُ السَّيِّدُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ زِينَةَ الْخَلاَخِيلِ وَالضَّفَائِرِ وَالأَهِلَّةِ» [إشعيا 3: 16–18].

ومع أنّ المسافات قد تبدو شاسعة ما بين شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب، إلا أنّ الاتصال بينهما لم ينقطع يوماً. فشبه الجزيرة العربية في النهاية ما هي إلا شبه جزيرة محاطة بالمياه من جوانبها الثلاث، لذا فجميع الطرق البرية في النهاية تقود نحو الشمال.

---

[1] ملوك1: 14: 23، ملوك2: 17: 10، إشعيا30: 25، إرميا2: 20، 3: 6، حزقيال6: 13، 34: 6.

وكون أنّ العرق والثقافة والدين واللغة في شبه الجزيرة العربية جميعها كانت مشتقّةً من السامية في منطقة الهلال الخصيب هذا ما سهّل عملية التواصل الواسع بين أجزاء شبه الجزيرة ومنطقة الهلال الخصيب. وهذا يفسّر لنا اعتقاد محمد بأنّ جميع أنواع السحر والشعوذة في الشرق الأوسط كان مصدرها ملَكَين مثيرين للجدل يسمّيان "هاروت وماروت" [البقرة: 102].

وقد زعم محمد أنّ هاروت وماروت كانا يعيشان في بئر بالقرب من بابل. وإذا كان العرب يعرفون أن مصدر سحرهم وشعوذتهم هي بابل، فلابد أنّهم كانوا يعتقدون نفس الشيء بشأن دياناتهم الوثنية.

كتب المستشرق تِسدال: «النقوش العربية المبكّرة تثبت ذلك، فهي تتضمّن أسماء آلهة مثل "سِنْ" [إله القمر] وعشتار [عشتوريت، عِشتار "فينوس"]، التي كان يعبدها السومريون في المقام الأول وبعد ذلك عبدها الساميون الذين كانوا في بابل، وآشور، وسوريا، وبعض أجزاء الجزيرة العربية.

ومع ذلك، وبالرغم من أنّه كان هناك عناصر حاميّة [مصريى، لكن نسبةً إلى حام] ضمن السكّان، إلا أنّ الأغلبية الأعظم من السكان ومن أقدم العصور كانت أساساً عناصر سامية في أصلها وفي لغتها وفي سماتها وديانتها»[1]

[1] St. Clair-Tisdall. Sources, p. 30

معظم الجزيرة العربية عبارة عن صحراء قاحلة ومقفرة، وتسمّى في أغلب الخرائط باسم "الربع الخالي"، ذلك المثلّث المحاط بمكّة، الخليج الفارسي واليمن. كما أنّ الحياة في الواحات كانت حياةً صعبة وقاسية أغلب الأحيان، لذا حتى المناطق التي كانت تنتشر فيها مستوطنات كانت عبارة عن قفار ثقافية.

والناس الذين عاشوا في هذه المناطق المنتشرة والمأهولة كانوا يتطلّعون إلى مكانٍ آخر من أجل ثقافتهم وحضارتهم. بالنظر إلى هذه الظروف، لا يعود من المفاجئ أنّه وبالرغم من أنّ مدينة القدس كانت تبعد حوالي 1234كيلومتراً عن مكّة، وردت إشارة إلى القدس أو أرض الشام في سورة الروم {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} [الروم: 3] حيث تشير هذه الآية إلى هزيمة الإمبراطورية البيزنطية على يد الساسانيين الفرس وطردهم من أرض الشام/ القدس عام 614م.

بإمكاننا التساؤل هنا: «لماذا أطلق القرآن على أرض الشام اسم "الأرض القريبة" ولم يطلق ذلك على اليمن؟». السبب في اعتبار أرض الشام على انها أرض قريبة هو أنّ مكّة تقع في منتصف الطريق إلى شبه الجزيرة العربية على الحافة الغربية. لذا لم تكن مأرب في اليمن أكثر قرباً (901كم) إلى مكّة من الشام/ القدس (1231كم)، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ جهة شمال مكّة والمدينة كانت هي الأرض القريبة نظراً لظروف السفر كاستواء الأرض خلوّها من الجبال الشاهقة والمنحدرات إضافة إلى اعتدال المناخ ممّا جعل

السفر أسهل في تلك المناطق. أمّا كل ما كان يقع جنوب مكّة والمدينة فكان أقرب إلى خط الاستواء، حيث تعجّ المنطقة بالجبال المرتفعة والحرارة العالية.

ظروف الحرارة والوعورة كانت تعني أنّ السفر من صنعاء في اليمن إلى مكّة كان يتطلّب ثلاثةً وأربعين يوماً. إلا أنّ رحلة أكثر برودةً واعتدالاً على طول السهل الساحلي الشرقي للبحر الأحمر كانت تعني أنّ القدس كانت تبعد مسيرة أربعين يوماً على الدمال عن مكّة[1]

ونظراً لاستواء الأراضي في المنطقة، كان الحجّاج يمضون فقط سبعةً وعشرون يوماً في رحلتهم من الكوفة في العراق إلى مكّة[2].

هذا يعني أنّ الرحلة من الكوفة إلى مكّة كان أقصر بستة عشر يوماً عمّا تستغرقه من صنعاء إلى مكّة، مع أنّ صنعاء أقرب إلى مكّة سوى من الكوفة بـ(436كم). وبنفس الشكل، كان الحجاج يستغرقون في رحلتهم من دمشق إلى مكّة حوالي 30يوماً[3].

بالنظر إلى هذه الظروف والتوزّع السكّاني المنتشر والمشتت في الجزيرة العربية، كان المكيون يعتبرون مراكز عبادة إله القمر في أي مكانٍ من شبه الجزيرة العربية بأنّها "قريبة أو دينا"، تماماً كما كانت أرض الشام هي "أدنى الأرض" بالنسبة للمكيين. لذا لاشكّ أنّ مكّة كانت أحد مراكز عبادة إله

(1) Lings. Sources, p. 2

(2) Peters. Hajj, p. Xxv

(3) Peters. Hajj, p. Xxv

القمر إذا كانت مكّة تمثّل ديانة الشرق الأوسط الوثنية كما يؤكّد لنا التراث الإسلامي ورجالاته من مبكّرين ومتأخرين.

تبيّن الألواح المسمارية أنّه وخلال الألفية الأولى والثانية قبل الميلاد كانت هناك أساطير كثيرة تفسّر ظهور الآلهة السماوية-النجمية. في هذه الميثات والأساطير السماوية التي تتحدّث عن نشأة الآلهة الكون، نرى أنّ آلهة السماء والماء والأرض البدئية الأولى هي التي أنجبت أو خلقت الآلهة السماوية - النجمية.

هذا الرعيل الأول من الآلهة الأولى وأساطيرها كانت قد باتت منسية قبل محمد بزمنٍ طويل. في الواقع، هذه الآلهة البدائية لم تكن معبودةً على الإطلاق لكنهم كانوا يذكرونها فقط ليفسّروها بها أصل ونشأة الآلهة السماوية-النجمية الشائعة. وأغلب الناس في يومنا هذا لا يعرفون شيئاً عن هذه الميثات والأساطير النشوئية إلا عن طريق الألواح الطينية التي بقيت مدفونةً لألفيات من الزمن.

منذ بداية التاريخ المكتوب في الشرق الأوسط، كان زعيم الآلهة ورئيسها بشكلٍ عام هو إله القمر. كتبت تمارا غرين: «... في الكوزمولوجيا الرافدية، كان من الواضح أنّ الشمس تابعةٌ للقمر: ففي ملحمة الإينوما إيليش نرى أنّ القمر مخلوقٌ قبل الشمس، في حين أنّه في الثالوث السماوي السومري، نجم المساء و"أوتو" إله الشمس، كلاهما أبناء "نانا" أو القمر»[1]

---

[1] Green. Moon, p. 24

بعض المدن والعواصم الرئيسية الرافدية كانت تنتشر فيها عبادة إله الشمس أو جوبيتر بوصفه الإله الأعلى. بأيّة حال كان هذا استثناءاً شاذاً وقصير الأمد للقاعدة بما أنّه كان المنجّمون الكهنة هم من عبدوا وقدّروا الشمس أو المشتري. إلا أنّ شعوب الشرق الأوسط رأت إله القمر على أنّه الإله الأعلى. وبقي الناس يعبدون إله القمر، لكنّ الكهنة ومراكز نفوذهم كانت بائدة وسريعة الزوال، وكذلك كانت عبادتهم للشمس والمشتري.

إحدى تلك المدن الرئيسية أو الكبرى كانت بابل. فكهنة بابل كانوا يتبرون "مردوخ"، إله المشتري، على أنّه الإله الأعلى. وخلال السنوات الأخيرة من عمر الإمبراطورية البابلية، كان الإمبراطور "نبونيدس" قد فضّل إله القمر _الأمر الذي أرّق كهنة مردوخ في بابل وكدّرهم.

هذا الخلاف كان له الأثر الرئيسي في انهيار بابل وسقوطها عام 539ق.م، وقد جاء في الموسوعة البريطانية ما يلي: «آخر ملوك بابل، أبونيدس الذي حكم من حوالي عام 556-539ق.م، حاول رفع مكانة الإله "سِنْ" لأعلى مكانة ضمن مجمع الآلهة»[1].

وأخيراً تحقّقت نبوءة إرميا حول بابل ومصيرها. فقد أصبحت بابل خاوية مقفرة تجوبها بنات آدوى «37وَتَكُونُ بَابِلُ كُوَمًا، وَمَأْوَى بَنَاتِ آوَى، وَدَهَشًا وَصَفِيرًا بِلاَ سَاكِنٍ» [إرميا 51: 37].

---

[1] الموسوعة البريطانية EB. Sin entry, accessed 16 Aug 2004

وانظر أيضاً Gersem, Armah

بعدئذٍ وبسبب قلّة الناس الذين باتوا بعيدون إله المشتري "مردوخ"، عاد الناس إلى عبادة إله القمر. وبإمكاننا ملاحظة تأثير وسيادة طائفة عبادة القمر في الشرق الأوسط من خلال حقيقة أنّ مركز عبادة القمر في مدينة "أور" الكلدانية قد بقي موجوداً حتى القرن الثالث قبل الميلاد، ومركز عبادة القمر في حران استمرّ حتى الغزو المنغولي في القرن الحادي عشر للميلاد.

وكان مركز أور ليستمرّ أكثر من ذلك لو أنّ نهر الفرات لم يغيّر مجراه.

أكسوم، الحبشة أكسوم مدينة تقع في شمال أثيوبيا. فمن القرن الأول وحتى التاسع للميلاد كانت أكسوم عاصمة الحبشيين وإمبراطوريتهم. امتدّت الإمبراطورية عبر أثيوبيا وشملت جزءاً من اليمن.

أرسل محمد بعض أتباعه كلاجئين إلى النجاشي، ملك الحبشة. في القرن الرابع للميلاد، اعتنق أغلب الحبشيين الديانة المسيحية. أمّا قبل ذلك، كانت العبادة الرسمية لديهم هي العبادة القمرية، وكان إله القمر هو الإله الأعلى لديهم.

وأغلب النقوش والقطع الفخارية والعملات المعدنية للحقبة الحبشية ما قبل المسيحية تحمل رموزاً دائرية وهلالية و... ...بقيت تظهر على العملات المعدنية حتى عهد "إزانا" [القرن الرابع للميلاد]، عندما بدأ الصليب بالاستخدام بدلاً من رموز القمر. فقد تمّ تجريد القرص والهلال من ميزتها

المقدّسة، واستمرّ استخدامها في أثيوبيا بوصفها علامة مميّزة على العملات المعدنية حتى توقّفت عملية سكّ العملات [1]

كما أنّ النصب التذكارية الحبشية تشير إلى مكانة إله القمر الرفيعة. يقول كريسويل: «النصب التذكارية الضخمة في أكسوم هي من القطع المستطيل [بمعنى أنّ النصب ليس على شكل مربّع من الناحية الهندسية] ومنحوتة لتشبه منازل من عدّة طوابق، والتقنية التي وصفناها للتو تم إظهارها على الحجر. أكبر تلك النصب الآن بات مهدّماً وخراباً، طوله 3.33 متراً، وقد كان رمزاً لمحرم، إله الحرب عند الحبشيين[2]

ولأنّ "محرم" كان إلهاً للحرب مذكّراً، فإنّ المصنّفين الإغريق القدماء ساووا بين "محرم" و"آريس"، اللذان كان رمزهما الكوكبي هو كركب مارس/ المريخ. الآلهة القمرية الهندو-أوروبية مثل "سيلين"، "لونا"، و"أرتميس" كان المقصوم منها هو أن تكون إناثاً، وكانت آلهة الحكمة والصيد وهامّ جرّا.

كان إله القمر بين الساميين ذكراً عادةً وكان الإله السماوي الأعلى. وكان إله القمر في أغلب الأحيان عنده قرين نسائي أو أكثر. كان إله القمر في جنوبي

---

(1) Gersem, Armah Munro-Hay, Dr. Stuart. Aksum: An African Civilisation of Late Antiquity, 1991, Ch. 8: "The Economy," online edition

(2) Creswell. Architecture, pp. 2-3

شبه الجزيرة العربية والحبشة يشعّ منه نور القمر وكان يشغل وظيفة إله الحرب.

هذه المعلومة، بالإضافة إلى كتاب القرآن الحربي والتراث المليء بتعليات الحرب، تشير إلى أنّ الله كان إلهاً للقمر وللحرب. لقد قام المستوطنون العرب والتجّار بنقل الدين الوثني المُتّبَع في جنوبي شبه الجزيرة العربية إلى الحبشة في زمنٍ مبكّرٍ نسبياً.

يورد اسم [محرم] في كافة النقوش الأكسومية بوصفه الإله الرئيسي، إله الحرب القومي، والحامي الخاص للعائلة الملكية. ونرى هذا في جميع أنحاء جنوبي شبه الجزيرة العربية، نعم، وفي جميع النصب السامية تقريباً، علامة أكيدة تميّز إله القمر. بوصفه الإله الرقومي للحرب، فإنّ "محرم" جرت الإشارة إليه في النصوص الإغريقية القديمة جنباً إلى جنب مع إله الحرب "مارس".

وبوصفه الإله الرئيسي فإنّه كان في أعلى مرتبة ضمن مجمع الآلهة، وهو الإله الأعلى[1]

ويقدّم هانز كراوس دليلاً يشير إلى وجود إله للقمر "سامي" في جنوبي شبه الجزيرة العربية وجد طريقه إلى الساحل الشمالي الشرقي لإفريقيا. ويقول كراوس في هذا:

---

[1] Nielsen, 1912, pp. 593–594, as translated in Krause, "Haram–Harimat".

«طريق التجارة القديم بين جنوبي شبه الجزيرة العربية وخط الساحل الإفريقي قد أدّى ومنذ زمنٍ بعيدٍ إلى نشوء إتصال بين جنوبي شبه الجزيرة العربية وإفريقيا. إذ أننّا نجد أنّه خلال النصف الأول من الألفية الأولى ما قبل الميلاد المستعمرات والمستوطنات السبأية في شمال شرق أفريقيا. وقد عُثِرَ على معبد قديم جداً وعريق في "جيهة" على مقربة ممّا بات يسمى اليوم بـ"العدوة". وطبقاً للنقوش من الواضح أنّه معبد آخر شقيق لمعبد إله القمر في "مأرب". أي أنّه "حَرَم بلقيس" إفريقي (بنافذة مفتوحة ومن دون سقف). وقد تمّ العثور على بضعة نقوش تثبت أنّ السبأيين كانوا يعيشون هنا في إحدى الفترات. شكل الحروف والبطرفة boustrophedon [1]

هذه الأنماط من الكتابة قادتنا لفترة ما بين القرن الخامس والقرن الثامن قبل الميلاد. قد نفترض أنّها متطابقة مع نمط الكتابة في يرروه ومأرب. كما أنّهم كانوا يبجّلون كوكب فينوس والقمر والشمس تماماً كما كان يفعل أقربائهم في شبه الجزيرة العربية»[2]

---

[1] وهي طريقة فريدة في الكتابة، حيث يتمّ قراءة النصّ بالتناوب من اليسار إلى اليمين على خطوط الوتر، ومن ثم قراءة النص من اليمين إلى اليسار في خطوط مرقّمة. وقد تمّت كتابة بعض النصوص القديمة واليونانية بهذه الطريقة بما في ذلك قوانين صولون. وهذا يتناقض مع اتفاقية قراءة اللغة الإنكليزية [من اليسار إلى اليمين]، أو اللغة العربية أو العبرية [من اليمين إلى اليسار]

[2] Nielsen, 1912, pp. 589-590, as translated in Krause, "Haram-Harimat]

ورد تقرير في شبكة الأخبار الأريتيرية مفاده:

«بغضّ النظر على وجهة أو تاريخ أو تفاصيل الانتقال، لاشكّ أنّ شمال أثيوبيا واليمن، خلال نصف ألفية أو ما يقارب ذلك قبل الحقبة المسيحية، كانتا تتشارك حضارة أو حضارات متقاربة. وهذا واضح من الاستخدام المحدود للغة والنص السبأي في إثيوبيا، كما بيّنت النقوش والعملات الأكسومية القديمة، وهي متناسبة مع الدين بوضوح. إذ قامت العملات على عبادة الشمس والقمر، والإله المحلي "ألمقه". فشعار الشمس والقمر، كان يستخدم في ذلك الوقت في اليمن، يبدو واضحاً على مسلّة أكسومية قديمة في "مطارة" على سبيل المثال، بالإضافة إلى أغلب العملات المعدينة الأكسومية القديمة للحقبة ما قبل المسيحية التي بدأ صكّها في بداية القرن الميلادي الأول.

ويمكن العثور على إشارات وتلمحيات إلى "ألمقه" أيضاً في العديد من النقوش السبأية على كلا طرفي ساحل البحر الأحمر».[1]

يمكننا الاستنتاج من هذه المعطيات أنّ إله الحرب والقمر الحبشي "محرم" كان هو نفس الإله _إله القمر والحرب السبأي "ألمقه.

[1] Pankhurst, Richard. "Let's Look Across the Red Sea: Ethiopia's Historic Ties with Yemen," Eritrean News Wire, Addis Tribune (Addis Ababa), eri24.com, 17 Jan 2003

مدن

خربة الكَرَك Beth Yerah

فلسطين الاسم العبري لبيت يراح يعني "منزل يراح"، ويراح هذا كان إله القمر. «كانت خربة الكرك/ بيت يراح مستوطنة في بدايات العصر البرونزي [حوالي 3100-2300ق.م]» حسب الموسوعة البريطانية[(1)] تقع بيت يراح عند الرأس الجنوبي لبحر الجليل عند معبر نهر الأردن.

مصر

كانت "أرض القمر"، وقد كتب جولز كاشفورد أنّ "سيت" إله القمر: «...قَتَل [أوزيريس] مرة أخرى، لكن هذه المرة قطّع جسده إلى 14 قطعة _عدد ليالي القمر المتضائل أو الناقص.

ثمّ نثر القطع في جميع أرجاء مصر، دافناً كل قطع في مكان مختلف. لذلك أصبحت مصر هي "أرض القمر"... وكل شهر ينبعث أوزيريس عن طريق ابنه "حورس" كقمر جديد، ومن خلال شكله الجديد الذي اتّخذه لنفسه فإنّه يدخل في معركة شهرية من التضاؤل والاكتمال مع "سيت". إنّ حياة وموت وانبعاث أوزيريس تتبع نمطاً قمرياً... والرمز الشعائري لأوزيريس كان على شكل قمر جديد [هلال]... إيزيس وأوزيريس...، بوصفهما إله وآلهة القمر، يجسّدان دائرة الطبيعة المتجدّدة باستمرار، كلاهما يمثّلان اكتمال النمو _في القمر، نهر النيل، النباتات والزرع، الحيوانات، والبشر_ وتضاؤل الموت

(1) EB, "Beth Yerah" entry, accessed 11 Sep 2003.

وانحساره _عندما يختفي القمر، أو ينحسر نهر النيل، أو تيبس النباتات والزرع، ويهرم الإنسان والحيوان ويموتان»[1]

حران، تركيا

حران (بالعربية تلفظ: حَرّان). «كانت [حرّان] مركزاً حيوياً وهاماً على طريق التجارة بين "نينوى" و"كركميش" ومهد إله القمر الحبشي»[2]

كانت حرّان مركزا لعبادة إله القمر "سِنْ" منذ أقدم العصور وحتى قدوم الغزو المغولي التي ترك المدينة مهجورة وخالية من السكان في القرن الحادي عشر. تقع حرّان في القسم الجنوبي الشرقي من تركيا الآسيوية، وتبعد حوالي 39كم جنوب شرق "أورفة" التي تسمّى أيضاً "الرها" بالعربية و Sanliurfa التي تعني "أورفة المجيدة". كانت مدينة أورفة/ الرها مدينة مسيحية في الأصل في العهد البيزنطي وكانت تسمى "إيديسا".

كانت إيديسا المنافس الديني للمعقل الوثني في حرّان. كانت هناك خمسة مراكز معروفة لعبادة الإله "سِنْ" _إله القمر_ على خط سير القوافل: أور الكلدانية، حرّان جنوب شرق تركيا، النيرب في سوريا الحالية، تيماء في الصحراء العربية، وشبوه في اليمن.

هذه المراكز الخمس تختلف عن آلاف المواقع التي كان يعبد فيها سِنْ تحت أسماء مختلفة، أو التي نستطيع فيها تمييز وجود عبادة الإله سِنْ. النيرب الموجودة في شمال سوريا لا تبعد كثيراً عن البحر المتوسط، وهي على مسافة

---

(1) Cashford. Moon, p. 24

(2) CEE, Haran entry

حوالي 175 كم جنوب شرق حرّان. وقد جاء في الموسوعة البريطانية أنّه: «ومنذ أن بدأت الطرقات والسبل القديمة تُعَلَم بالمعابد والمقامات، من المهم الإشارة بأنّ النيرب بالقرب من حلب كانت مثلها مثل حرّان وأور _مركزاً لعبادة إله القمر "سِنْ"»[1]

تشير الموسوعة البريطانية أنّه في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، أشارت ألواح ورُقُم مدينة "ماري" إلى أنّ العبريين (هابيروس Hapirus) والبنو يمينيين (بنو يمينة Banu Yamina) كانوا يعبدون إله القمر "سِنْ". وتقع مدينة ماري في شمالي سوريا. "يمينة" تعني "أبناء الجنوب"، لكنّ المعنى الحرفي لكلمة "يمينة" هو "أبناء اليمين [اليد اليمنى]"، وهذه إشارة إلى أنّ جهة الجنوب هي على اليد اليمنى عندما يتوجّه الشخص إلى الجهة التي تشرق الشمس منها.

تشير الموسوعة البريطانية أنّ نصوص "ماري" تصرّح بأنّ جموع اليمينيين... «...كانوا يعرَفون دائماً بأنهم كانوا يقطنون شمال ماري وفي حرّان، في معبد الإله سِنْ... كان هناك بنيمينيين على الضفة اليمنى من النهر، في أرض "يَمْهَدْ" [حلب]، قطانوم [قطنا]، وعمورو...

وبما أنّ الطرق القديمة كانت تُعَلّم بالمقامات، فمن الجدير بالذكر أنّ النيرب، بالقرب من حلب، كانت مثل حرّان وأور _مركز لعبادة الإله سِنْ،

[1] EB, accessed 16 Aug 2004, Abraham entry

وأنّ جنوب حلب على الطريق إلى حماه مازالت هناك قرية تحمل اسم "بنيمين أو بنيامين".»[1]

حاصور

فلسطين تقع حاصور على بعد 8كم جنوب غرب بحيرة الحُلّة أعلى نهر الأردن. وتبعد حوالي 16كم عن بعد الجليل، الذي يقع ما بين مهري الأردن الأعلى والأسفل. تمّ تدمير حاصور على يد الإسرائيليين أثناء غزوهم بعد خروجهم من مصر. وقد جاء في الموسوعة البريطانية:

«تقع حاصور في وادي الأردن شمال بحر الجليل، وقد كانت تحتوي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد على تمثال لإله ذكر فوق قاعدة على شكل ثور. وفي معبد آخر هناك مجموعة أخرى من الأشياء ذات التي لها وظائف طائفية، وقد تمّ العثور أيضاً خلف كتلة حجرية تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد على نقش لشخصية ذكر مع مجموعة من الأحجار القائمة، الحجر الذي في الوسط الذي تمّ نقشه يصوّر زوجاً من الأيدي وسواعد ممدودة نحو قرص وهلال»[2]

الحُرَيضة

جنوب شبه الجزيرة العربية

كتب بريان دو:

---

[1] EB, accessed 16 Aug 2004, Abraham entry

[2] EB, "Syrian and Palestinian religion" entry, accessed 13 Sep 2003

«هذا الموقع يحتوي معبداً ومباني منزلية وقبوراً في المتحدرات الحجرية الشمالية [منحدرات ذات حجارة منزلقة وغير متماسكة] في وادي "أمد" على بعد عدّة أميال شمال غرب مدينة الحريضة. وتحت إشراف الدكتور جي. كاتون تومبسون عام 1937. [1]تمّ إجراء أول عملية تنقيب أركيولوجية مسيطر عليها في جنوبي شبه الجزيرة العربية...

ومن النقوش التي تمّ العثور عليها في موقع المعبد كانت تلك النقوش مكرّسة لإله القمر "سِنْ"، والاسم القديم لهذا الموقع تمّ الكشف عنه أيضاً، وقد كان "ماضابوم"»[2]

أريحا في فلسطين أريحا تعني حرفياً "قَمَرَةُ". وهاء الملكية على الأغلب عائدة على إله القمر يراح. تبعد أريحا حوالي 18ميلاً شرق مدينة القدس على الجانب الشمالي للبحر الميت عند المصرف الغربي لمعبر الأردن. بيث هاران (أو بيت هارام، بيت هاران، بيت هرّه) كانت بالقرب من أريحا[3]. ومازالت آثارها وخرائبها تسمى الآن «تل الرامح في وادي حشبون الذي يبعد حوالي 6 أميال شرقي الأردن»[4]. كانت بيت هاران شرقي «نهر الأردن، ليست بعيداً نحو الشمال الشرقي لمصبّه في البحر الميت»[5]

---

(1) Thompson. Moon

(2) Doe. Arabia, pp. 237-238

(3) العدد 32: 36

(4) ISBE, Beth-Haran entry

(5) ISBE, Beth-Haran entry

يبدو أنّ بيت هاران يشير إلى أنّ مدينة أريحا قد تأثّرت بمدينة حرّان في شمالي سوريا، "مدينة القمر". ويبدو التأثير الرافدين أكثر وضوحاً من خلال حقيقة أنّه ليس ببعيدٍ عن بيت هاران يقع جبل "نيبو". وقد سمي نيبو تيمناً بإله الحكمة عند البابليين. ونيبو هو الكاتب المقدس لدى إله القمر "سِنْ".

يقع جبل نيبو في موآب، شرقي نهر الأردن، وهي اليوم مملكة الأردن. إنّه يرتفع أكثر من حوالي 4000قدماً (1200م) فوق مستوى البحر الميت. ويمكن للمرء رؤية صفّ كبير من الأرض غربي الأردن من قمّة نيبو. طاف الإسرائيليون حول مدينة أريحا ثلاثة عشر مرة في سبعة أيام[1].

وقد فعلوا ذلك للسخرية من الطقس الديني الوثني-السماوي في الطواف سبع مرّات أو مضاعفات العدد سبعة. إنّ خرائب مدينة أريحا مازالت شاهدةً على سقوطها على أيدي الإسرائيليين. وإذا استنتجتم أنّ الخروج قد حدث أبكر من ذلك، وإذا كانت لديكم أيّة شكوك بالنسبة لعملية التأريخ الأركيولوجية مردّها إلى الانحياز والذاتية، يمكنكم الرجوع إلى الموسوعة البريطانية حيث ورد فيها ما يلي:

[1] ((3تَدُورُونَ دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ، جَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ. حَوْلَ الْمَدِينَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً. هكَذَا تَفْعَلُونَ سِتَّةَ أَيَّامٍ. 4وَسَبْعَةُ كَهَنَةٍ يَحْمِلُونَ أَبْوَاقَ الْهُتَافِ السَّبْعَةَ أَمَامَ التَّابُوتِ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ تَدُورُونَ دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَالْكَهَنَةُ يَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ)) [يشوع 6: 3-4]

«هذه [الطبقة الأركيولوجية لمدينة أريحا] قد تمّ تدميرها في النصف الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد لكنّ الأدلة قليلة وشحيحة جداً إذا أردنا توخّي الدقة»[1]

مَعِيْن [شمال مملكة سبأ] كانت "مَعِين" مملكة تقع شمال مملكة سبأ استمرّت منذ القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن الثاني للميلاد[2]. عاصمتها كانت قرناو وشعبها كانوا يسمّون بالمعينيين. كان إله الحرب والقمر عندهم هو "وَدّ"، ويعني "حب، وِدْ، محبة". وقد ذُكِرَ "وَدّ" بوصفه وثناً عتيقاً في القرآن {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: 23]

ويخبرنا التراث أنّ الوثن وَدّ كان على شكل رجل، وكان موجوداً في كل منزل يعبده أتباعه، حتى قيل أنّه أوّل صنمٍ عُبِدَ من قبل العرب «وكان وَدٌّ رجلا مسلما وكان محبيا في قومه، فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جَزَعهم عليه، تشبه في صورة إنسان، ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله، فيكونَ في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم. فصُوِّر لهم مثله، قال: ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه.

فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله، فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم. قال: فمثل لكل أهل بيت

---

[1] EB, Jericho entry, accessed 13 Sep 2003

[2] EB, Ma'in entry, accessed 14 Sep 2003.

تمثالاً مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال وتناسلوا ودَرَس أمر ذكرهم إياه، حتى اتخذوه إلها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد من غير الله: الصنم الذي سموه وَدّاً»[1]

وقد جاء في موسوعة ميريام-ويبستر لأديان العالم (2000) ما يلي: «في "معين" كان أصل الإله القومي عندهم "وَدّ" من شمال شبه الجزيرة العربية وعلى الأرجح كان إله القمر، وكانت العبارة السحرية: "وَدّ أب" أي وَدّ والدي، المكتوبة في التعاويذ والمباني، مصحوبةً عادةً بقمر على شكل هلال وقرص كوكب الزهرة/ فينوس»[2]

إنّ حقيقة أنّ وَدّ كان مصحوباً دائماً بهلال وأنّه "الأب" أو الراعي تبيّن أنّه كان إلهاً مذكراً وأنه إله القمر.

مكّة، شبه الجزيرة العربية

هناك الكثير من الإشارات التي تشير بأنّ محمداً كان نبياً قمرياً يبشّر بديانة إله القمر. والمعجزة الوحيدة المسجّلة لمحمد نجدها في القرآن وهي شقّ القمر إلى نصفين {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}[القمر: 1] ويمكننا معرفة أنّ القرآن عبارة عن كتاب قمري وأنّه مليء بتعاليم إله القمر من خلال حقيقة

---

(1) تفسير ابن كثير، ج8، 235-236

(2) Merriam-Webster's Encyclopedia of World Religions (p. 70)

قول محمد أنّ هذا القرآن لو نزل على جبل لتصدّع وانشقّ لنصفين [الحشر: 21].

وهذا الكلام يذكّرنا بمعجزة انشقاق القمر التي ذكرناها للتو حيث أنّ القمر ينشقّ إلى نصفين و كل نصف يهبط خلف جبل مختلف بالقرب من مكّة. بنفس الشكل هناك العديد من الإشارات بأنّ الكعبة كانت معبداً لإله القمر وسنبحث ذلك لاحقاً. لكنّ الجدير بالذكر أنّ أحد أوضح الأدلة يقع بالقرب من الكعبة وهو حائط "الحطيم" الذي كان سابقاً بمثابة مصلى أو محراب لإله القمر. والإله الوحيد الذي يتطابق مع "الله" إله القمر والزعيم داخل المجمع الإلهي كان "هُبَل".

كان هُبَل هو إله المشتري، كما سنناقش ذلك لاحقاً. ويعتقد الباحثين بوكوك ودوزي أنّ هُبَل كان مكافئاً للإله "بعل"، وكان يقال في الأصل (هابَعل، هابال) وتعني "الرب، أو السيد" [1] كان "هُبَل" مجرد لقب، لكنّ التراث ينقل لنا اسم هُبَل الأصلي والخاص: غَنْمْ[2].

ألقاب "الله" كثيرة ومتعدّدة منها "ربّ"، و"الرحمن". لكنّ اسم "الله" الشخصي والخاص يبدو أنّه كان "سِنْ"، نظراً إلى الكلمات الغريبة الواردة في بدايات السور مثل "يس" وتلفظ "يآسين"، وهناك سورة عنوانها "يس"

---

[1] Gibb & Kramers. Encyclopedia, p. 140, Hubal entry

[2] كتب غيليوم قائلاً: (([هُبَل] هي قراءة ابن الكلبي [في كتابه الأصنام]، لكنّ جميع المخطوطات [أي مخطوطات ابن إسحاق: سيرة رسول الله] تورد اسم "غَنْمْ"، وهو إله مجهول)) Yaq. iii. 665.8

أيضاً، وهي على الأرجح تحمل معنى النداء لإله القمر: «يا سِنْ» أي "يا إله القمر سِن". لماذا كتبت مختصرة؟ وإذا كان المقصود منها اسم ياسين اسم العلم، لماذا لم يكتب كاملاً؟ وكتب بكلمة لا تتجاوز الحرفين؟...

لا نستطيع هنا أن نقول "الله أعلم"، فنحن نبحث ونحلّل لكي نصل إلى الحقيقة. لابدّ أنّ اسم "الله" الشخصي والحقيقي كان "سِنْ"، وهو اسم إله القمر الذي كان معروفاً ومعبوداً في جميع أرجاء الشرق الأوسط منذ أقدم العصور. كان سِنْ اسم إله الحرب والقمر الرسمي في مملكة حضرموت القريبة التي كانت موجودة منذ القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الرابع بعده.

وقد كتب إيغرتون سايكس بأنّ إله محمد "الله" «يبدو أنّه كان مسبوقاً بألمقه إله القمر»[1] ومقولة سايكس هذه تبدو منطقية إذا أخذنا النقاط التالية بعين الاعتبار:

• يقول ريكمان أنّ النقوش السبأية ذكرت "بنات إيل"، الإلات [أو اللات] والعُزّى[2]. وقد كتب ريكمان قائلاً «...أنّ المسميات بـ"بنات إيل"... تتطابقن مع "بنات الله" في مكّة ما قبل الإسلام، الإلهات: اللات، العُزّى، ومناة اللواتي ذكرن في القرآن [سورة النجم: 19-22 وفي حادثة

---

(1) Sykes. Mythology, p. 7, Allah entry

(2) Ryckmans, Jacques. EB, "Arabian religions," 2004

الآيات الشيطانية]. الإلهتان الأولى والثانية تظهران أيضاً في التعاويذ والرقيات العربية الجنوبية»[1]

• "إيل" تعني الله، وهي اختصار لكلمة "إله"، و"الإله" و"الله". وبما أنّ إيل السبأي يشير إلى ألمقه، لا عجب أنّ ألفرِد غيليوم كتب قائلاً: «يرجع بعض الباحثون الاسم [الله] إلى "الإله" جنوب شبه الجزيرة العربية، وهو لقب لإله القمر...»[2]

• اعتقد محمد أنّ "الله" كان إله ملكة سبأ بالإضافة إلى أنّه هو نفسه إله الملك سليمان nôŒ{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: 44]

• اعتقد محمد أنّ الملك والرحّالة ذو القرنين كان مسلماً صالحاً {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: 83] ويبدو أنّ كاتب سيرة محمد، ابن إسحاق، كان يعتقد أنّ ملكة سبأ وذو القرنين، والملك تُبّع اليماني كانوا جميعهم مسلمين صالحين ومن ذرية أو سلاله واحدة[3] وحسب «المفهوم الجنوبي في جزيرة العرب... إنّ الملك تُبّع الأقرن أو ذو القرنين» هو نفسه ذو القرنين في القرآن[4].

---

[1] Ryckmans. Anchor, v. 6, p. 173

[2] Guillaume. Islam, p. 7

[3] ابن إسحاق، سيرة رسول الله، صـ12

[4] Gibb & Kramers. Encyclopedia, p. 76, Dhu'l-Karnain entry

• اسم العلم "ذو القرنين" يعني "الرجل الذي يضع على رأسه قرنين"، ويشير إلى تاج وفوقه هلال. وهذا يشير إلى أنّ الإله الذي كان يعبده ذو القرنين بشكل رسمي كان إله القمر. وجميع الآلهة الرسمية والعليا في جنوب شبه الجزيرة العربية كانت آلهة قمرية وحربية.

لكنّ الآثار وعلم الأركيولوجيا يشيران إلى أنّ ملطة سبأ كانت تعبد إله القمر، الإله القومي لمملكة سبأ الذي كان يدعى "ألمقه"[1] تذكّر عزيزي القارئ أنّ كلمة "ذو القرنين" تعني "الذي يوجد قرنين على رأسه"، وأنّها إشارة إلى إله القمر. وهذا يشير أيضاً إلى أنّ ملكة سبأ كانت تعبد له القمر إذا كان ذو القرنين من نفس السلالة التي تنحدر منها ملكة سبأ.

يبدو أنّ محمداً كان يعتقد أنّ "ألمقه" كان مجرّد نسخة محلية لإله القمر "سِنْ" كما يبدو من بداية سورة النمل {طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ} [النمل: 1] و"طس" تلفظ عادةً "طاه سين" كحرفين منفصلين، وعلى الأرجح أنّها تعني "يا [إله القمر] سِنْ". و"طس" لها نفس المعنى مثل "يس"، عنوان السورة رقم 36.

حاشية: هناك إشارة أخرى إلى أنّ الإسلام أصله جاء من عبادة إله القمر السبأي "ألمقه". فقد كتب جاك ريكمان: «الاستسقاء، وهي صلاة جماعية لإنزال المطر بشعائر وطقوس سحرية في أوقات القحط والجفاف، مذكورة من

---

[1] Doe. Arabia, p.

قبل التراث الإسلامي وفي نصّين سبأيين. وما زال هذا الطقس موجوداً في الإسلام كجزء من الشعائر الإسلامية)[1]

"الله" بوصفه إلهاً للقمر

نتابع بحثنا في مسألة الشعائر القمرية ودلالاتها في الإسلام، إذا كنا قد وصلنا سابقاً إلى أنّ شعيرة الاستسقاء هي طقس كان يمارس في سبأ طلباً لإنزال الماء من إله القمر "ألمقه" وكانت تمارس أيضاً في الإسلام ومازالت موجودة حتى اليوم.

ولابدّ هنا أن نذكر أيضاً شعيرة "الحج" بالسفر على الأقدام إلى وادي مكّة وتلالها وشعيرة عيد الأضحى تذكرنا بطقوس الحج وطقوس صيد الوعول في جنوب شبه الجزيرة العربية لإنزال المطر. وتشير النقوش إلى أنّه كان يتمّ اصطياد الكثير من الوعول قد يصل عددها إلى أربعة آلاف رأس في رحلة الصيد الواحدة. كما أنّ آثار وخرائب المعابد تشير إلى وجود غرف لإقامة الولائم والمآدب فيها مجهّزة بطاولات ومقاعد حجرية حيث كان يجري تناول الأضحيات[2].

---

[1] Ryckmans, Jacques. EB, "Arabian religions,"

[2] Breton. Felix, p. 132

وقد ذكر ريكهان أنّ طقس صيد الوعول المطري مازال موجوداً ويمارس حتى يومنا هذا في حضرموت جنوبي شبه الجزيرة العربية[1]. ورد حديث عن محمد في الصحيحين أنّ "الله" ـ إلهه، إله القمر ـ قد أمره بترك لحيته وحفّ شواربه، وأمره أن يطلب من المسلمين ذلك «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انهكوا الشوارب، وأعفوا اللحى)» [2] «فقال: اما ربي فقد امرني ان اعفي اللحية و ان احف الشارب»

لماذا يأمره "الله" بذلك ويطلب منه ذلك؟... إنّ حقيقة أنّ أحد أبطال محمد، ذو القرنين والذي يعني "الذي على رأسه قرنان"، ويشير إلى ملك يضع على رأسه تاجاً عليه هلال تشير إلى موضة الألبسة التي كان يرتديها الحكام وكهنة إله القمر وأنبياؤه أمثال محمد.

الإسلاميون يرون في محمد أسوة حسنة، وأفضل مثال يمكنهم اتباعه في اللباس، كما أنّهم يطلبقون لحلهم ويقصّون شواربهم.

إنّ ذقون الإسلاميين الطويلة الشبيهة بذقون التيس أو التي تشبه منظر الوعل [الوعول نزع من التيوس البرية] كما نراهم في السعودية وبلدان الخليج العربي وبعض البلدان العربية والدواعش بالإضافة إلى أكمام جلابياتهم المتهدّلة والطويلة ودشاديشهم، جميع هذه الأمور تذكّرنا كيف كانت آلهة القمر

---

[1] Ryckmans, Jacques. EB, "Arabian religions," 2004

[2] صحيح البخاري، باب اللباس، حديث رقم 5549

تبدو في الشرق الأوسط مثل سِنْ مثلاً، وكيف يبدو حيوان إله القمر المفضّل _ ألمقه _ يبدو.

كتب فيرنر داوم قائلاً: «صور الوعول التقليدية وغير الواقعية على الإطلاق، بوجه رجل عجوز، الموجودة في حضرموت... من الذي كانت تمثّله [تلك الصور]؟... هناك تفسير وحيد وهو أنّ... الوعل... هو الإله السبأي الرئيسي "ألمقه"... الذي كان رمزه الحيواني هو الوعل»[1]

إنّ عملية تصوير السبأيين لوعول بوجوه رجال ملتحين ترمز لعبادة إله القمر، وهي شبيهة بما كان يجري في حضارة "سومر" حيث يمكننا في أغلب صور ولوحات الحضارات المنتشرة في منطقة الهلال الخصيب رؤية أكباش وثيران ملتحية لحية بشرية بالكامل. وغالباً ما يتمّ تشكيل اللحية باستخدام حجر اللازورد الأزرق أو أحجار كريمة مزرقّة.

الأكباش والثيران كانت حيوانات ترمز لإله القمر، لذلك كان يتمّ تصويرها لتشبه إله القمر "سِنْ"[2] تشير النقوش أنّ المسيحيون الأوائل في مدينة "سِروه" باليمن _حيث يعتقد أنّ ملكة سبأ كانت قد بنت قصرها الصيفي[3] يدعون "الله" الأب. وسروه هي مستوطنة قديمة في الجبال تقع غربي مأرب.

---

(1) Daum. Ursemitische, pp. 64-66 وأيضاً NationMaster.com, accessed 28 Mar 2004, "Sin (god)" entry

(2) Larousse, Sin entry, p. 56

(3) Clapp. Sheba

كتب صموئيل زويمر قائلاً: «وجد الباحث الدكتور إدوارد غلاسر أنّ اسم "الله" مذكورٌ على النصب التذكارية المسيحية في اليمن. وقد عثر على نقش يعود لسنة 542م يبدأ بالعبارة التالية: (باسم الرحمن ومسيحه والروح القدس) الأمر الذي يثبت أنّ في اليمن على الأقل_ المسيحيين العرب كانوا مدركين لأشخاص الثالوث»[1] لاشكّ أنّ هناك آثاراً من الديانة القمرية قد بقيت موجودة في سروه كما في أي مكانٍ آخر.

على سبيل المثال، إنّ آثار ديانة إله القمر بقيت موجودة في مفاهيم الإمبراطورية الرومانية الغربية- المسيحية حتى مطلع القرن التاسع للميلاد كما أشار مكمولين[2]. وقد كتب أحد علماء الآثار عن مأرب في اليمن: «على مقربة من عمود الحجارة الحسّاس كان هناك نقش مرسوم بروعة لشمس دائرية وقمر على شكل هلال... وعلى مدى حوالي ألفين وخمسمائة عام وقف هذا العمود الرائع شامخاً فوق الرمال بالقرب من مأرب...»[3]

مثالٌ آخر عن الآثار الباقية من عبادة إله القمر مازالت موجودة حتى عندما دخلت الديانة المسيحية إلى المجتمع يتمثّل في الأعمدة والنصب التذكارية التي نقش في أعلاها أهلّة مازالت موجودة في الحبشة. وآخر هذه النصب ربما قد بني في القرن الرابع مع أنّ الخصيّ الأثيوبي، أمين صندوق

---

[1] Zwemer. Essay, Ch. 2: "Allah, the Divine Essence," p. 27

[2] MacMullen. Eighth, p. 70

[3] Phillips. Sheba, pp. 226-227

الملكة كنداكة، قد اعتنق المسيحية في القرن الميلادي الأول [1]حكم النجاشي المسيحي من بين هذه الآثار والأعمدة الباقية التي تحمل نقش الهلال في أكسوم، الحبشة.

هذه الأعمدة التي تحمل في أعلاها نقش الأهلّة ربّما هي التي دفعت محمد للاعتقاد بأنّ "الله" _إله القمر_ كان نفس الإله الذي يعبده المسيحيون، وأنّ النجاشي المسيحي سيتقبّل إلهه إله القمر ويعتنق مذهبه القمري. بعد أن اعتنقت العائلة الملكية الحبشية الديانة المسيحية، على الأرجح لم يتخلّصوا من رموز الأهلّة، بل قاموا بإضافة رموز مسيحية وبيزنطية إلى نصبهم. لذا على الأرجح كان النجاشي يرتدي هلالاً وغطاءاً للرأس عليه قرنين رمزاً للهلال. ونفس الأمر كان ينطبق على الأسرة الملكية النوبية على الأقل.

كتب بي. إل. شايني أنّه في الكنيسة القروسطية في عبد القادر بالنوبة، هناك لوحة لـأسقف أبرشية مملكة دونغولا_ كما جاء الوصف في النقش: «يظهر أنّه حاملاً في يده رمز الكنيسة، التي يفترض أنّه قام بتأسيسها. ويضع على رأسه غطاءً للرأس عليه قرنان، يبدو أنّه كان إشارة إلى العائلة الملكية النوبية. والصقور ذات الرؤوس المزدوجة على رداءه هي دليل على استمرار التراث

[1] ((وَإِذَا رَجُلٌ حَبَشِيٌّ خَصِيٌّ، وَزِيرٌ لِكَنْدَاكَةَ مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ، كَانَ عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِهَا. فَهذَا كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ)) [أعمال الرسل 8: 27]

البيزنطي ويقاؤه»[1] إذن كل ذلك يعني أنّ الوثنيين كانوا يرون الأهلّة في سروه والمواقع المسيحية الأخرى، وكانوا يفترضون أنّ المسيحيين كانوا يعتقدون أنّ آلهة القمر القديمة هي نفسها إله الإنجيل.

في حالة سروه، كان الوثنيون يفترضون أنّ المسيحيين كانوا يشيرون إلى إله القمر "ألمقه" على أنّه "الله". خلال الحقبة الإسلامية، كان المسيحيون يشعرون أنّ عليهم الاعتراف "بالله" على أنّه إلههم، حتى وإن كانوا يعتقدون غير ذلك. فإذا لم يعترف المسيحيون بفكرة أنّ "الله" هو نفسه إله الإنجيل، لكانوا قد خسروا مكانتهم كذميين. ولكان المسلمون قد اعتبروهم وثنين أو مشركين، ولأصبح خيارهم الوحيد إمّا الموت أو دخول الإسلام.

أقرب مملكة إلى مكّة _هذا إذا لم نأخذ في حسباننا التآلفات والاتحادات القبلية في المنطقة_ كانت موجودة في اليمن. كانت هناك ممالك أخرى في اليمن غير سبأ. وكانت لكل مملكة من تلك الممالك إله للقمر مختلف وخاص بها، إلا أنّ أديانها ومعتقداتها لم تستمرّ حتى زمن محمد.

هناك ممالك أخرى إضافة إلى سبأ إمّا تحوّلت إلى خراب أو اعتنقت اليهودية أو المسيحية. والاستثناء القريب الوحيد كان مملكة "سبأ" الوثنية، التي بقيت قائمة حتى القرن السادس للميلاد، أي في القرن الذي ولد فيه

---

[1] Shinnie, P.L. "Medieval Nubia and Byzantium," Sudan Antiquities Service, Khartoum, 1954, article + figure 5 (illustration), rumkatkilise.org /nubia.htm

محمد (570م)[1]. ما يعني أنّ إله القمر "ألمقه" على الأرجح كان هو "الله" الذي عرفه محمد كما توقّع إيغرتون سايكس، كما أسلفنا سابقاً.

تبعد مأرب حوالي 123كم شرق صنعاء. معبد إله القمر في مأرب يدعى "مَحْرَم بلقيس" ويعني معبد بلقيس. وبلقيس كانت ملكة سبأ في اليمن. آثار وخرائب معبد القمر في مأرب والتي انت تابعة لما يعرف بمعبد ملكة سبأ تذكّرنا كيف أنّ معبد إله القمر بمكّة ارتبط مع اسم البطريرك إبراهيم الذي هو نفسه أبرام المذكور في الكتاب المقدس. هذان المعبدان لإله القمر كانا مجرّد اثنين فقط من بين آلاف المعابد الوثنية في أرجاء العالم القديم التي جرى ربطها مع شخصيات مذكورة في الكتاب المقدس. والفارق الأساسي هو أنّه في مكّة، لم تؤدّي عملية الربط هذه إلى تحوّل المعبد إلى كنيسة أو كنيس، بل أدّت إلى ظهور الإسلام.

يذكر محمد حادثة انهيار سدّ مأرب {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} [سبأ: 16] يعرف المؤرّخون هذا الحدَث على أنّه نهاية الري والزراعة في مأرب، وبذلك نهاية الحضارة نفسها. وقد بقي محرم بلقيس/ معبد إله القمر تحت رحمة الرمال والصحراء حوالي عام 550م، أي عشرين عاماً قبل ولادة محمد عام 570م.[2]

---

[1] Doe. Arabia, kingdom list on insider cover map and p. 25

[2] Graveland. Queen

هناك إشارات أخرى إلى أنّ مكّة كانت مقاماً لإله القمر من ضمنها حقيقة أنّه بالقرب من مكّة كانت هناك مقامات نجمية-كوكبية مرتبطة بها. فقبيلة ثقيف كان لديها معبداً لآلهة الشمس "اللات" بالطائف، التي تبعد حوالي 58كم جنوب شرق مكة. جنباً إلى جنب مع "الله"، كانت "اللات" هي الصنم المفضل في الطائف، ونستدلّ على ذلك من الطريقة التي حاولوا فاوضوا بها محمد حول آلهتهم المفضلة "اللات" أثناء تفاوضهم معه حول شروط الاستسلام.

كان الطائفيون قد أرادوا مهلة ثلاث سنوات ليفطموا أنفسهم خلالها عن اللات. «وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاغِيَةَ ، وَهِيَ اللَّاتُ ، لا يَهْدِمُهَا ثَلاثَ سِنِينَ ، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ»[1] فاللات كانت إمّا قرين "الله" أو ابنته، وذلك اعتماداً على الأسطورة المحلية الدارجة لكل منطقة. وحسب الآيات الشيطانية، كان المكّيون يعتبرون "اللات" على أنّها ابنة "الله".

كانت مكّة أيضاً قريبة من مقام الآلهة "العُزّى" (أو فينوس) في نخلة. كان مقام نخلة يقع شرقي مكّة وشمال مقام الطائف الذي سبق ذكره. وكان مقامي

---

[1] كتاب: عيون الأثر في المغزي والسير للابن سيد الناس ، موقع إسلام ويب:
http: / /library.islamweb.net /hadith /displayhbook.php?indexstartno=0&hflag=&pid=633317&bkno=1703&startno=0

نخلة والطائف بمثابة أختين أو ابنتين للمقام المكّي. كان الإله الرئيسي في نخلة هي العزّى، أو كوكب الزهرة.

الإله الرئيسي في الطائف كان "هُبَل"، والإلهة الرئيسية في الطائف كانت إلهة الشمس "اللات". وكانت اللات والعزى تعتبران "بنات الله"، حسب الآيات الشيطانية {فرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى [النجم19-20] تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى}. لذلك كانت مكّة هي الحاضرة التي تحتوي المقام الأكثر أهمية من بين هذه المقامات الثلاث حيث أنّ إله القمر كان الإله الأعلى ضمن هذا الثالوث الوثني.

كلّما تساءل أحدهم لماذا كانت مكّة بهذا القدر من الأهمية والقداسة، فإنّ عليه أن يتساءل بدل ذلك عن سبب قداسة الأماكن الثلاثة _مكة والطائف ونخلة_ وليس مكّة فقط. فهذه المواقع الثلاثة مع بعضها كانت تمجّد الثالوث المقدّس عند العرب القدماء: القمر والشمس والزهرة. كانت قبيلة محمد نفسها، قريش، جنباً إلى جنب مع قبيلتي كنانة ومضر تدير مقام نخلة[1] . وفي حين أنّ الإله الأعلى عند قريش كان "الله"، فقد اعتنقت قبيلة كنانة الإله "هُبَل" [المشتري/ جوبيتر] على أنّه الإله الأعلى[2] ، مع أنّ هُبَل كان قد قَدِم لتوّه إلى الكعبة في مكّة من سوريا.

---

[1] ((حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بنخلة وكانت بيتا يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها)) [تاريخ الطبري: 2/ 163]

[2] Peters. Hajj, p. 25

يمكن لأي إنسان استخراج أسطورة الخلق من القرآن. فبعد أن دعا إبراهيم القمر "ربي" [الأنعام: 77] ثمّ قال أنّ "الله" _إله القمر_ خلق السموات والأرض [الأنعام: 79]. "الله" خلق السموات والأرض وخلق السموات والأرض والشمس والقمر وسخّرهما [العنكبوت: 61]. ثمّ اتّخذ الله من القمر رمزاً خاصاً به.

كون القمر "مسخّراً" لا يعني أنّه لا يمكن أن يكون "الله" هو إله القمر، إذ أنّ عبدة إله القمر قد أدركوا أنّ القمر نفسه كان مجرّد جرمٍ مخلوق. فإمّا أنّه كان عرشاً أو تاجاً لله الذي يعبدونه. وقد ورد في قصص وأساطير الخلق كيف أنّ الآلهة قاموا بتنظيم القمر، مثلاً عندما قال مردوخ إله المشتري لسِنْ إله القمر: «في بداية سطوعك على الأرض عند أول الشهر، ستظهر على شكل قرنين لستّة أيام. وفي اليوم السابع ستقسم التاج [القمر] إلى نصفين [نصف القمر] وفي اليوم الرابع عشر، أظهر وجهك الكامل [قمر كامل]»[1] كما أنّ "الله" خلق أو ساد على جميع الآلهة، على الأرجح عن طريق قرينه اللات آلهة الشمس وابنته العزى. وقد سبق ونوّهنا بأنّ "اللات/ الشمس" و"العزى/ الزهرة" و"مناة/ الشعري" هُنّ بنات الله كما جاء في التراث وفي الآيات الشيطانية.

يخبرنا ابن الكلبي في كتابه "الأصنام" عن أوس بن حجرٍ الذي يحلف باللات: وباللات والعزّى ومن دان دينها *** وبالله إنّ الله منهنّ أكبر

---

[1] Larousse, Sin entry, p. 56

[1]مانستدلّ من ذلك أنّ القدماء كانوا يحلفون باللات والعزى جنباً إلى جنب مع الله، لكنّهم يرون أنّ الله هو سيّدهم أو زعيمهم أو خالقهم، وهو أكبر وأعظم منهم... لكنّهم كانوا يعترفون بأنّ هناك آلهة أقل قدراً من الله موجودة مع الله، وهذا نقيض فكرة التوحيد تماماً.

اعتقد محمد أنّ "الله" وابنته كان بإمكانهما الظهور بمظهر بشري، إلا أنّه لم يكن هذا مظهرهما دائماً. في الواقع، كان يعتقد محمد أنّ السبيل الوحيد لمعرفة الأشخاص القدّسين والإلهيين وتمييزهم عن البشر العاديين كان: أنّ الآلهة لا تأكل الطعام {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: 75] والقصد هنا إثبات بشرية يسوع ووالدته مريم وأنّهما لم يكونا ربين أو إلهين، إنّما بشرين عاديين يأكلان ويشربان.

وستبحث طقوس العبادة القديمة في الكعبة والضواحي المكية خلال موسم الحج لاحقاً. كما أنّ العبادات المكية الوثنية داخل المساجد كانت تتضمّن التصفيق والصفير (الصفير باستخدام إصبعين) {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [الأنفال: 35]

---

[1] ابن الكلبي، الأصنام، 17

«عن ابن عباس قال: كانت قريش تطوف بالكعبة عراة تصفر وتصفق. والمكاء: الصفير، وإنما شبهوا بصفير الطير وتصدية التصفيق.» [1]

حاشية

في عام 2009 وجد عالم الآثار السعودي ناصر الحارثي منتحراً في مكتبه في مكّة. كان الدكتور ناصر رئيس قسم الآثار والفنون الإسلامية في جامعة أم القرى، وكان يعد من أبرز المؤرخين المعاصرين للتاريخ الإسلامي، وله مؤلفات تزيد عن 28 مؤلفاً، إضافةً إلى 70 بحثاً. وكانت آخر إصداراته موسوعة بعنوان "الآثار الإسلامية في مكّة المكرّمة" وضمّت أكثر من 500 وثيقة تاريخية، إضافة إلى انشغاله بالكثير من عمليات التنقيب في مكّة.

الفكرة هنا أنّ هذا العالم وجدَ منتحراً في مكتبه فجأة وقد ترك رسالة يقول فيها أنّ عليه ديوناً مالية ويطلب العناية بأولاده وسداد ديونه الأمر الذي صدم زملائه وتركهم عاجزين عن تفسير وتصديق ما حدث. الغريب أنّ عالماً كبيراً كهذا ينتحر بسبب بعض الديون المالية. لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا ما الذي اكتشفه ذلك العالم في مكّة، وما هي الأسرار التي كشف اللثام عنها في تلك المنطقة المعتمة التي تمنع المملكة إقامة أيّة أبحاث أركيولوجية خارجية مستقلة فيها؟!!!

هل اكتشف شيئاً أو سراً يساهم في تقويم دعائم دين الإسلام كما يعرفه مسلمو اليوم؟ هل أصيب بالصدمة جرّاء ما كان قد اكتشفه؟...المشكلة أنّ

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن، 4/ 52

الباحثون السعوديون قد أخذوا بيدهم هذه الأبحاث ومن المستحيل أن يعلنوا أي شيء يعتبر خارج الفكرة الدينية السائدة.

الجدير بالذكر أنّه قبل انتحاره قد ترك وثائق ومستندات طالب أن يفتحها رؤساء هيئة الآثار فقط. بالإضافة إلى أنّ هناك الكثير من الشكوك حول الانتحار، ووالدة الفقيد تنكر حادثة انتحار ابنها قائلة أنّ أموره المالية كانت متيسّرة وأنّه كان شخصاً مؤمناً ويخاف ربه ولا يمكن أن يكون قد انتحر بهذه البساطة، وما زالت القضية غامضة

مأرب

جنوب شبه الجزيرة العربية كانت مأرب العاصمة القديمة لمملكة سبأ، والتي يعرفها العبريون باسم "شيبا"، وتعني "سبعة" أو "قَسَم/عهد"[1]. تقع مأرب فوق تلال على ارتفاع 1190متراً عن سطح البحر، وتبعد حوالي 225كم عن ساحل بحر العرب. تبعد مأرب حوالي 123كم شرق صنعاء. بلدة "آوى" خارج مدينة صنعاء فيها معبد للقمر سُمّيَت تيمّناً بمعبد القمر في مأرب [2]

كتب رونالد ليوكوك عن مملكة سبأ التي كانت عاصمتها مأرب:

---

(1) Strong's no. 07614: Sheba means "seven"'–or–"oath.

(2) Lewcock. San'a, p. 20

«يبدو أنّه في القرن الأخير ما قبل الميلاد، وخلال القرون الأولى للحقبة المسيحية كانت هناك دولة "سبأية أكثر عظمة" تدين بتماسكها إلى (وتبدي هويتها من خلال) العبادة المشتركة لإله القمر "ألمقه"»[1]

معبد إله القمر في مأرب يعرف أيضاً بمحرم بلقيس، ويعني "معبد بلقيس". وبلقيس هو الاسم العربي للملكة شيبا المذكورة في الكتاب المقدس. وعلى الأرجح أنّ المعبد قد تمّ تكريسه لألمقه (إلمقه)، إله القمر والحرب لدى السبأيين [2] كانت سروه مستوطنة قديمة في الجبال غرب مأرب، ويعتقد أنها كانت القصر الصيفي لملكة سبأ "بلقيس"، أمّا القصر الشتوي فعلى الأرجح أنّه كان في صلحان التي تبعد 19كم شمال مأرب[3]

كانت ملكة سبأ قد سافرت حوالي 2033كم إلى القدس من مأرب باليمن [4]لزيارة الملك سليمان حسب لرواية التوراتية التي تبنّاها التراث الإسلامي أيضاً.

---

(1) Lewcock. San'a, p. 21

(2) جويل دونيت، البحث عن ملكة: فريق من علماء الآثار ينقّبون في موقع معبد قديم باليمن بحثاً على آثار لملكة سبأ. Donnet, Joel. "Quest for a Queen "India's national magazine" from the publishers of The Hindu, vol. 19, Issue 03, 02-15 Feb 2002

(3) Clapp. Sheba.

(4) الملوك الأول 10: 1-13

يومها لم تكن ملكة سبأ تعبد إله سليمان كما هو معروف. إذ أنّها من دون شك كانت تعبد إله القمر المتجسّد في ألمقه، إله القمر الرسمي لسبأ [1]

كون أنّ ملكة سبأ قد سافرت إلى القدس سهّل بالنسبة لمحمد الاعتقاد بأنّ إبراهيم قد جاء إلى مكّة. إنّ ملكة سبأ خلال رحلتها إلى القدس قد قطعت 2033 كم، أي أطول بكثير من رحلة إبراهيم من القدس إلى مكّة. قد تكون ملكة سبأ قد أبحرت على طول ساحل البحر الأحمر حيث يقع الآن ميناء إيلات. فإذا سلكت ملكة سبأ الطريق البري على طول ساحل البحر الأحمر، لابد أن تكون قد مرتّ من مكّة.

لقد أدرك محمد أنّ الكتاب المقدس يذكر سفر إبراهيم مسافات طويلة حسب معايير ذلك الزمن. وعلى اعتبار أنّ هذه الرحلة قد حدثت فعلاً، وبالتسليم بأنّ شخصيات الكتاب المقدس هي شخصيات واقعية وحقيقية، يمكننا أن نقيس الرحلة: من أور إلى حران 930كم، ومن حرّان إلى القدس 665كم، ومن القدس إلى القاهرة 425كم.

لكنّ محمد لم يكن يعلم أين كانت تقع مدينة أور التي ولد فيها إبراهيم إذ أنّها كانت قد زالت واندثرت ولم تعد موجودة منذ زمنٍ بعيدٍ قبل محمد، حتى أنّه لم يفهم أصل إبراهيم ومن أين هو.

الرحلة من القدس إلى مكّة _1231كم_ أطول بعض الشيء من أي رحلة من رحلات إبراهيم. ناهيك عن أنّ محمد _بالنظر إلى الرحلات المذكورة في

---

[1] Doe. Arabia, p. 25

الكتاب المقدس_ لم يكن يشكّ أبداً أنّ إبراهيم قد زار مكّة، مع أنّ صحاري شبه الجزيرة العربية قاسية وقاحلة، وقاتلة في بعض الأحيان.

يوحنّا الدمشقي (~675_~749م) قد سخر من فكرة محمد أنّ إبراهيم _الذي اسمه الأصلي هو أبرام_ قد ضحّى بابنه _إسحاق وليس اسماعيل حسب رواية الكتاب المقدس_

في مكّة: «بما أنّ العهد القديم يقول أنّه كان هناك تلة مرتفعة من القشّ والحطب، التي كان إبراهيم قد قطعها من أجل المحرقة التي كان يريد وضع إسحاق [وليس إسماعيل] فوقها، فترك حماره خلفه مع الغلامين اللذين اصطحبهما، من أين إذن استقيت قصّتك الخيالية؟ ففي ذلك المكان [مكّة] لا يوجد حطب يمكن جمعه من غابة، ولا حمير يمكن السفر عليها»[1]

يخبرنا القرآن قصة كيف أنّ ملكة سبأ تلقّت توبيخاً مفترضاً من سليمان لأنّها كانت تعبد إله الشمس جنباً إلى جنب مع "الله" إله القمر {وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} [النمل: 24].

وقد كتب بريان دو أنّ إله القمر الرسمي لمملكة سبأ كان يسمّى "ألمقه"[2] وعلى عكس القرآن، يلقي التراث الرباني/ الحاخامي/ التوراتي اللوم على ملكة سبأ على أنّها هي التي أغوت سليمان وأقنعته بالوثنية.

---

[1] Sahas. Heresy, p. 137.

[2] Doe. Arabia, p. 25

هذه الرواية الرابانية قد ظهرت بسبب الوثنية السليمانية وزيارة ملكة سبأ مذكورة في الكتاب المقدّس/ العهد القديم [ملوك الأول 10-11]. إضافةً إلى ذلك، على الأرجح تسبّبت الرواية الرابانية والقرآنية [النمل: 24] في تضليل كاتب الملحمة القروسطية الأثيوبية (مجد الملوك Kebra Nagast)، إلى الاعتقاد بأنّ ملكة سبأ كانت تعبد إله الشمس على أنّه إلهها الأساسي والوحيد.

بينما يروي لنا العهد القديم أنّ كبر سنّ سليمان وزوجاته الغريبات والأجنبيات كل ذلك كان عاملاً في مساومته على الوثنية، وأنّ ملكة سبأ لا علاقة لها بذلك. إذ أنّ الكتاب المقدّس يصرّح وبوضوح بأنّ سليمان قد ساوم بعد أن أصبح عجوزاً، وعلى الأغلب حدثت مساوماته مع الوثنية بعد زيارة ملكة سبأ بفترة طويلة [الملوك الأول 11: 4]

تناولنا سابقا مدينة النيرب في سوريا ضمن تبويب حرّان، كما أنّنا سبق وتحدّثنا عن قرناو أو قرنو وشبوة في اليمن ضمن تبوين مّكة .

صحراء سيناء وجبل سيناء

جاء في الموسوعة البريطانية ما يلي: «يبدو أنّ اسم "سيناء/ Sinai" كان معروفاً منذ زمنٍ مبكرٍ جداً وربما قد يكون مشتقاً من الاسم الأصلي لإحدى أقدم المذاهب والطوائف الدينية في الشرق الأوسط، وهي عبادة إله القمر "سِنْ"»[1] ربما صحراء تسِن، التي تعني باللغة العبرية "مسطّح/ مستوٍ"، كانت تسمّى "صحراء سِنْ" في الماضي لكن تحوّل الاسم مع مرور الوقت

---

[1] EB, accessed 2 Oct 2002, "Sinai Peninsula" entry

ليصبح "تسِن". وهذا ليس غريباً أو مدعاةً للاستغراب إذا أخذنا في حسباننا احتمال حقيقة أنّ ميّزات الأرض الأخرى في نفس المنطقة كانت تسمّى على أسماء الآلهة البابلية كجبل نيبو وجبل سيناء.

حاشية:

جديرٌ بالذكر أيضاً أنّنا نطلق على الأراضي الرملية القاحلة اسم "صحارى"، وفي نفس الوقت نرى أنّ معنى "القمر" باللغة العبرية هو "صحارون Saharon". وهذا لابدّ أنّه يشير إلى وجود علاقة إيتمولوجية بين إله القمر والصحارى، بالإضافة إلى مذهبنا القائل بأنّ صحراء تسِنْ كان يطلق عليها في أحد الأيام اسم صحراء سِنْ، أو صحراء إله القمر سِنْ.

تيماء أو تيما أو تيمه

(شمال شبه الجزيرة العربية) قام الملك نبونيدس، آخر ملوك بابل (555-539ق.م) ببناء مدينة تيمه كمركز لعبادة إله القمر، وبشكل خاص لعبادة إله القمر "سن". تيمه، على غرار العديد من الواحات على طريق القوافل التجارية، كانت مكرّسة لإله القمر.

فعلى سبيل المثال، معظم العواصم والمدن الكبرى لممالك جنوب شبه الجزيرة العربية كانت تقع على الطرق القوافل التجارية كطريق التوابل وطرق الحج. وفي كل عاصمة كان المعبد الرئيسي مكرّس لإله القمر والحرب الرسمي.[1]

---

[1] Phillips. Sheba, map inside cover.

هناك مثال آخر عن واحات مكرّسة لعبادة إله القمر ومنها "بدر". وبدر تعني "القمر المكتمل". كانت بدر تقع على طريق القوافل الرئيسي من الشمال إلى الجنوب بالقرب من البحر الأحمر، وكانت بدر تقع جنوب غرب "المدينة". وبدر هي الموقع الذي خاض فيه محمد إحدى معاركه الأساسية الأولى.

تحدّثنا عن تمنه في شبه الجزيرة العربية ضمن فقرة "مكّة". كما أنّنا تحدّثنا عن صحراء تسِن ضمن فقرة "صحراء سيناء".

أور (الكلدانية)، بلاد الرافدين

بقي أن نتحدّث عن مدينة أور القديمة مسقط رأس البطريرك إبراهيم أو أبرام المذكور في العهد القديم. كانت أور من أكبر المدن الكبرى المذكورة في التاريخ المكتوب. وكان إله القمر يعرف باسم "سِنْ" أو "نانا". وأور كانت مشهورةً بأهراماتها/ زقّوراتها.

غادر إبراهيم وعائلته أور إلى حرّان[1]. يبدو أنّ حرّان كانت مدينة شقيقة لأور، مركز تجاري متقدّم ونقطة تنطلق منها القوافل التجارية. وكلتا المدينتين أور وحرّان كانتا تعرفان عبر جميع أصقاع العالم القديم بأنّهما مركزين رئيسيين لعبادة إله القمر.

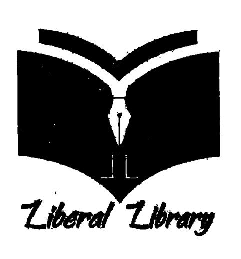
وقد وصلت أور إلى نهايتها كما جاء في الموسوعة البريطانية:

«على الأرجح في عام 317ق.م غيّر نهر الفرات مساره، ومع انهيار نظام الري والزراعة الكامل، تحوّلت حقول أور إلى صحراء، وهُجِرَت في النهاية»[2]

---

[1] تكوين 11: 28، 31. 15: 7. نحميا 9: 7

[2] EB, accessed 15 Mar 2003, Ur entry



الدار الليبرالية

برلين




جـون كيراتـشر (١٨٨٠-١٩٥٨) سـياسي ماركسي أمريـكي اسكتلندي المولـد أسـس الحزب البروليتاري الأمريكي في عام ١٩٢٠. من أهم أعماله:

كيـف تـم صنـع الآلهـة (دراسـة في المادية التاريخية). شيكاغو:

المنتجـون والطفيليـات. شـيكاغو ، إل تشارلز هـ.كير وشركاه ١٩٣٥.

لماذا البطالة؟ شيكاغو: *Charles H. Kerr & Co* ، ١٩٣٥.

صناعـة تثبيت الـرأس. شيكاغو: *Charles H. Kerr & Co* ، ١٩٣٥

الجريمـة: أسـبابها ونتائجهـا. شـيكاغو: *Charles H. Kerr & Co.* ، n.d [١٩٣٧].

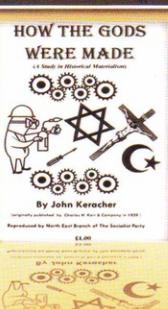
فريدريك إنجلز (نوفمبر ١٨٢٠ - أغسـطس ١٨٩٥). شـيكاغو: *Charles H. Kerr & Co* ، ١٩٤٦.

الأجور ويوم العمل. شيكاغو: *Charles H. Kerr & Co* ، ١٩٤٦.

الدار الليبرالية

Liberal Library

How the Gods Were Made



ينقسم الكتاب إلى جزأين :

الجزء الأول :

How the Gods Were Made (a Study in Historical)Materialism

by Oxford City Press (first ٢٠١١ 9th Published November)١٩٢٩ published

كتاب كيف تم صنع الآلهة (دراسة في المادية التاريخية).

للكاتب جون كيراتشر

بمجرد أن يدرك الإنسان وجوده ، بمجرد أن يكون قادرًا على التفكير ، كان ملزمًا بطرح الأسئلة على نفسه: "من أين أتيت؟" و "إلى أين أذهب؟" كان من الطبيعي جدًا أن يتساءل كيف أتى إلى هنا على الأرض وماذا سيحدث له بعد الموت. لقد رأى أخيه الإنسان ينام ، لا يستيقظ أبدًا. رأى الآخرين يقتلون ، والحياة تنطفئ. لقد كانت جهوده أن حل هذه المشاكل التي دفعت الإنسان البدائي إلى خلق معتقدات في الحياة بعد الموت وبقوة كائنات بشرية خارقة.

عندما ننظر إلى الوراء في تجارب العرق ، تاريخ البشرية ، نجد أن الإنسان قد وجد ثلاث طرق مختلفة لشرح أنشطته. بعبارة أخرى ، لم يكن هناك سوى ثلاثة مفاهيم للتاريخ ، وثلاثة تفسيرات أساسية من الإنسان لأفعاله على هذا الكوكب. صحيح أنه تم إعطاء أكثر من ثلاثة أسماء لمفاهيم التاريخ هذه ، لكنها ستندرج جميعها ضمن ما يلي: أولاً ، بالترتيب الزمني ، هو المفهوم اللاهوتي للتاريخ. ثانيا ، المفهوم المثالي للتاريخ ، وثالثًا ، المفهوم المادي للتاريخ.

كما يحاول الكاتب أن يشرح الحجج المادية ضد الآلهة معطياً تفسيراً واضحاً للمعارضة الاشتراكية للدين

الجزء الثاني :

ديانة التوحيد القمري

ISBN 978-1-78139-030-6



